1

زواج برهومة
وقصص أخرى

تأليف: نسيم مجلى

الفهرس

1- زواج برهومة	3
2- بدر الزمان الشهرمانى	8
3- راكب الدرجة الممتازة	12
4- رودى اللطيف	13
5- حالة غش	17
6- الذئب	23
7- ورقة بخمسين جنيها	30
8- في بيتنا أرنب	42
9- حلم صيني	47
10 – كنعان أفندى	50
11-قطرات من الدم	59
12- الشيخة سعدة	68
13- ذات ارداء الأخضر	74

E-mail: nasimmijalli @hotmail.com

1- زواج برهومة

- والله وصبحت عريس يا برهومه
- اسكت. كارثة، مصيبة!
- هو الزواج كارثة؟
- ليس زواجا. هذا عقاب من أبى
- على إيه؟
- ماجبتش مجموع فى الثانوية العامة يدخلنى الجامعة.
- لكن تفسر الزواج إزاى على أنه عقاب؟
- حكم على أن اتزوج قريبتى وأن أرث وظيفة أبيها.
- لم تعد الوظائف تورث يا صديقى منذ قيام ثورة يوليو 1952
- أدخلنى مدرسة الحركة عشان أشتغل كمساري بالسكة الحديد زى ابوها.

ضحكت بصوت عال. لم تكن المرة الأولى التى يضحكنى فيها برهومة. فقد كان زميل الدراسة وأقرب الأصدقاء الى قلبى. كان صديقا ودودا وصريحا لا يعرف الخبث سبيلا الى قلبه، لكنه كان عاطفيا جدا متقلب المزاج. وكان تقلبه يرجع الى مفاهيمه الدينية وتزمته. فوالده فلاح ضيق الأفق ذوعقلية جامدة بحيث لا يسمح لأولاده بأى نوع من حرية الرأى اوحرية التصرف أوحتى الافصاح عن مشاعرهم. وكان جو الكبت المطبق على برهومة فى المنزل يكاد يخنقه لكنه لا يجرؤ على التزمر. ومن ثم أصبحت المدرسة هى المتنفس الوحيد لأحاسيسه المكبوتة. فما أسهل أن يندفع برهومه مع كل عاطفة قوية أو حركة اعتراض أو تهكم أو سخرية بل إنه كان يقود بعض حركات الضجيج والفوضى فى الفصل،

حين كان يقوم بتقليد حركات المدرسين وكثيرا ما كانت تحركه الرغبة إلى ذلك فى أثناء الشرح والمدرس منهمك بكتابة الدرس على السبورة. فجأة ينفجرتلاميذ الفصل فى الضحك ويفاجأ المدرس بهذا الانفجار فيلتفت وراءه فلا يجد شيئا. لكن بمرور الزمن انكشف أمر برهومة وعرف أنه هو مصدر الضحك والإزعاج والفوضى فى المدرسة. ورغم طيبته وحب المدرسين والتلاميذ له إلا انه لم يكن يفلت من العقاب خصوصا وأنه لم يكن متفوقا فى دراسته وكان من أرباب الملاحق أو الدور الثانى فى أغلب سنين دراسته.

وحدث ذات يوم أن كان ناظر المدرسة يمرعلى الفصول ويتابع أوضاع المدرسين والتلاميذ من خلال النوافذ المتوحة على الطرقات ووجد برهومه يقلب صفحات مجلة مصورة أمامه وهو مستغرق فى صوربعض الفنانات الجميلات غير مبال بالدرس الذى كان يكتبه الأستاذ على السبورة، فناداه الناظر خارج الفصل وطرده من المدرسة لحين حضورولى أمره.

خرج برهومه من باب المدرسة حزينا كسيف البال ليجد أمامه فلاحا ملتحفا بعباءة كالحة فتقدم منه وشكى له أمره فرق الفلاح لحاله. فطلب منه برهومه أن يذهب معه الى الناظر باعتباره والده. ودخل الرجل معه، ولكن المشرف ابراهيم الملاح كان يعرف والده تماما من كثرة تردده على المدرسة فراح يضحك، وصرف الفلاح بلباقة دون أن يجرح شعوره، واضطر برهومة أن يستدعى والده لمقابلة الناظر. وعند خروجى فى بداية الفسحة فى اليوم التالى وجدت برهومة يجرى ويشير إلى، تعالى شوف المجانين دول واسمع بيقولوا إيه.؟ واسرعت معه فوجدت والده والناظر يتحدثان فى الطرقة بصوت مرتفع:

-ايوه ياحضرة الناظر. أنا عارف إبنى فسدان وبتاع نسوان.

- ابنك ده لازم يتربى كويس

- معلهش يابيه. انا غلبت معاه والبركة فيك. اضربه اكسرعضمه وأنا على العلاج. ربيه إنت بمعرفتك

ولما لم نستطع الاستمرار فى سماع هذا الحديث الهازل ابتعدنا ورحنا فى الضحك والتندرعلى عقليات الأب والناظر معا. كان والده فلاحا متزمتا لايكاد يعرف القراءة والكتابة، ورث قطعة أرض عن أبيه واستطاع بجده وصرامته وتقتيره ان ينميها وأن يزيد رقعتها. ثم جاءت قوانين الاصلاح الزراعى لتتيح لكبارالاقطاعيين أن يبيعوا أجزاء من اراضيهم التى تزيد عن مائتى فدان لصغار المزارعيين. وكانت فرصة ذهبية بالنسبة له فاشترى قطعة كبيرة ودفع مبلغا من ثمنها والباقى بالتقسيط على سنوات، وبدأ يكافح بجد ويجمع حوله اولاده للعمل فى العطلات والاجازات وحتى فى فترة بعد الظهر فى أغلب الأيام حتى يمكنه دفع الأقساط. وجعله ذلك يمارس عليهم نوعا من الصرامة والانضباط ويعتبر طاعته من طاعة الله. فأمره لا يناقش وطلبه لا يرد. كان يعتقد أن اتساع أرضه وزيادة ثروته هى بركة إلهية ونعمة من الله نزلت مكافأة له لشدة تدينه. وأخذ يتمادى فى التشدد بالنسبة لطقوس العقيدة المسيحية الارثوذكسية؛ ويفرض على جميع أفراد العائلة الصلاة والصوم شهورا طويلة كل عام. وسارت الأمورعلى نحو أشبه بمعسكرات العمل ولم يستطع برهومه أن يتخلص من هذا الجو إلا بالوصول للمرحلة الثانوية التى تبعده عن بلده ليسكن فى البندر وترحمه من العمل تحت رحمة أبيه.

وكانت فرصة لبرهومة أن يتنفس جو الحرية فيجلس مع زملائه أو يلعب معهم أو يذهب الى السينما التى كان يسمع عنها ولا يراها. لكن السينما حرام هذا ما يقوله ابوه فى كل مرة يذهب فيها الى البلد أو يزوره فى حجرته فيوصيه بأن بتجنب رفقاء السوء. وان يواصل الصوم والصلاة واياك أن تذعب الى السينما، الأفلام مليئة بالإغراء والفساد والخطيئة والويل لمن يخطىء فمصيره جهنم حيث النار لا تطفأ والدود لا يموت.

ويتقلب برهومه فى مخدعه بعد نشوة الفرح والسعادة والاندماج فى قصة الفيلم. كيف ينام؟ إنه يتذكر عبارات أبيه المنذرة بشديد العقاب، وبالعذاب فى الأخرة وهكذا يطبر من عينيه النوم ويظل قلقا حتى الصباح. فاما أن ينام ويتأخرعن موعد المدرسة أو يذهب الى المدرسة وهو خائرالقوى لا قدرة لديه على التركيز. وهكذا تضيع منه بعض الدروس، ويفشل فى بعض الامتحانات وتكون الطامة الكبرى حين تذهب الشهادة إلى أبيه فيبدأ فى أداء شعيرة التبكيت والتنكيت فيلطم خديه ويمد يده الى الأرض أحيانا ويهيل على رأسه التراب وهويصرخ:

" أنا عارف كل حاجة. انا شايفك طول الليل مكفى على وجهك والكتاب قدامك مقلوب. لأن قلبك بعيد عن الرب. أما زميلك يوسف فشاب مبروك دائما يطلع الأول لأنه مستقيم ومداوم على الصوم والصلاة "

وكان برهومة ينقل الى حديث أبيه فأضحك ويضحك معى. فإنا كنت. مستقيم حقا لكن بأسلوب بسيط وعادى أتابع دروسى وأكل ما يعجبنى وأرتاح وقت ما أحس بالحاجة الى الراحة. أزور اصدقائى وأشاركهم أرائهم البريئة وأذهب الى السينما وأعود لأحكى لأمى وأخوتى الكبار ما رأيت، ويسعدون بمشاركتى لهم دون حديث عن الجنة أو النار أو الشعور بالذنب والخطيئة. وكنت أضحك على هذا الرجل المخدوع ألغافل الذى يعتبر نفسه نموذجا للرجل البار، ولا يدرى شيئا عن نتائج قسوته على أولاده جميعا. فتزمته الخطيرالذى لا يفرق بين المرح البرىء والخطيئة ويثقل نفوس أبنائه بالإحساس بالذنب الذى ثقلت وطأته على نفس صديقى فجعلته ممزقا لا يستقرعلى قراربين التفكير فى الجنة والخوف من النار.

كان لقائى به فرصة طيبة. فانا بطبعى لا أحترم هذا النوع من الأباء وأسخر من هؤلاء الوعاظ المنافقين وأؤمن بشىء واحد هوعقل الانسان وجهده وصدقه مع نفسه ومع الناس. فكنت أدعوه الى نسيان كل ما يقوله والده ويعتبره هذيان رجل مجنون ويعيش مثلى ومثل كتير من زملائنا ويترك نفسه على سجيتها يتقبل من الأكل ما يطيب له ومن الحياة ما ينسجم

مع طبعه ولا يكلف نفسه الا ما يرتاح له من الأعمال حتى ينقذ روحه من التمزق ويركز على دروسه كما نفعل نحن. كنت فى معظم الأحيان أذهب إليه لأذاكر معه وأساعده فى فهم بعض المواد وخصوصا ما كنت اتفوق فيه كاللغة العربية والإنجليزية. لكنه لم يوفق فى الحصول على الثانوية العامة معى فى نفس العام واضطر لإعادتها بينما ذهبت أنا الى الجامعة ودخلت كلية الأداب التى أحبها. وفى العام التالى حصل هوعلى الثانوية العامة بمجموع ضعيف، ورأى أبوه فى هذا دليلا أكيدا على انحراف ابنه ففرض عليه أن يدخل مدرسة الحركة التابعة للسكك الحديدية. وفى نفس الوقت أخذه من يده الى بلد بعيد حيث عائلة قريب له وهناك خطب له ابنته الكبرى.

بالنسبة للأب كان المبررأنها قريبته تخاف عليه وتشاركه حياته بطاعة ورضاء، والأهم من ذلك أن أباها المتوفى له قطعة أرض فى البلد تركها لإبنتيه وزواج برهومه من سميحة سوف يمكنه من امتلاك جزءا من هذه الأرض أيضا. أما برهومة فكان غاضبا لأن أباه فرض عليه أن يخطب فتاه لم يرها من قبل ولا يعرفها. وحين رآها لأول مرة أقتنع بأنها ليست بالجمال الذى يعجبه لكنه لم يستطع أن يقول لا.

ودارت الأيام وسار كل شىء فى طريقه وتخرج برهومه وتسلم عمله كمعاون محطة وجاء يوم الزفاف، لنلتقى من جديد لأقول له ألف مبروك لكنه يميل على ويهمس فى أذنى ويقول " أتمنى أن يصل جنون أبى الى نهايته فيصدر قراره وان يزوجنى أختها الصغرى أيضا لأنها أكثر جمالا وأن يضم الأرض كلها الى عصمته."

وهنا ضحكت وضحك معى وقلت، أن أباك رجل متطرف ولا تستكثر عليه هذا فأمثاله من المتطرفين يحلل كل شىء ويحرمه حسب مصلحته وباسم الدين يمكنهم أن يرتكبوا أكبر الجرائم.

2- بدر الزمان الشهرمانى

نادرالمثال، كانما جاء من عالم الخيال أوعالم الفضاء وحل بينهم زميلا ورفيقا ومفكرا ومنظرا وشاعرا ديونيسيا للحب والمتعة والحياة وفى لحظة لهو ومزاح أطلق عليه أحدهم اسم "بدر الزمان الشهرمانى" فربط بينه وبين عالم ألف ليلة ووجد الجميع ضالتهم في هذه التسمية فارتاحوا لها ومضت السنون وتفرق الشمل وذهب كل منهم لحال سبيله. لكن لقاءاتهم لم تنقطع وصارهو يتقدم فى الطريق ويزداد اسمه تألقا وبروزا فى عالم الأدب والصحافة وازداد جاذبية للجنس اللطيف حتى انتهى أخيرا بالزواج من شابة فاتنة الجمال متميزة فى تفكيرها ودراستها تعمل بالتدريس بأحد أقسام اللغات وتوثقت العلاقة بينهما عن طريق الاهتمام بالفن والأدب.

وجاءت الفرصة للسفرالى الخارج فى شكل بعثة لزوجته للحصول على الدكتوراه فى الأدب الانجليزى وذهب هو معها الى هناك ووجد لنفسه عملا فى احدى المنظمات الدولية كمترجم وتابع دراسته لمناهج البحث والتربية وتقدم كل منهما فى ميدان عمله وعاد الى الوطن، عادت هى للعمل بالجامعة، وعاد هو للعمل بالصحافة – لكنه ترك لنفسه بصمة فى منظمة اليونيسكو جعلتهم يطلبون خبرته من وقت الى آخر، وصار ينتقل بين البلاد العربية يقدم علمه وخبرته وكانت حياته الزوجية تتقدم أيضا وتزدهر خصوصا بعد أن أنجبت له زوجته طفلة جميلة نمت وترعرعت فى جوعائلى عامر بالمودة والوفاق أشيه بخلية نحل لا تمل القراءة والكتابة والتفكير. أصابتها عدوى هذا المناخ فسارت فى نفس الطريق حتى تخرجت من الجامعة وتزوجت أجنبيا لتعيش معه فى الغربة وكان هذا الزواج برضاء وبركة الأبوين لكن زواجها ترك فراغا فى حياة هذه الأسرة دون

أن يؤثر فى روح المودة والحب التى تربط بدر الزمان بزوجته نجوى فلازال يتغنى بها وينتقى أبيات الشعر الجميل لكى يتغزل فيها.

نجوايا يا نجوى يا أحلى من الحلوى

لكن دوام الحال من المحال، كان القدر يخبىء لهما شيئا فمرضت نجوى فجأة بمرض عضال أخذ يفت من قواها حتى هدمها وأعجزها عن الحركة، وعاشت فى هذه المحنة سنوات وهو يشاركها الألم والأحزان حتى عجزت قدراته المالية عن الانفاق ولم يعد قادرا على الاستمرار فى علاجها من هذا المرض اللعين ولم يجد حلا إلا أن يتركها فى رعاية أمها ويذهب هو الى بلاد الخليج ليجمع لها مالا ينفقه على علاجها. هناك صار يعانى من الوحدة التى تشتد عليه حين يعود الى بيته أو يهجع الى فراشه.

طالت غربته وطالت سنوات مرض الزوجة دون أمل فى الشفاء وهويتحرق شوقا الى يوم يعيده الى حياته المعتادة مع زوجته لكن هيهات وبدأ اليأس من شفائها يدب فى نفسه. لقد مضت عشر سنوات من الحرمان الشديد وهو المتزوج الأعزب الذى تفرض عليه الحياة والمجتمع قيودا وقيودا. فهو الرجل المحترم المحبوب الذى يرمقه الكثيرون ويحبون صحبته، ومازال هو الكاتب والناقد المعروف الذى يزوره الأدباء والشعراء، ومنهم بعض زملاء الدراسة الذين يعملون معه فى هذا البلد العربى وهم يزورونه من وقت لأخر ويدعونه لزيارتهم فى بيوتهم خصوصا فى بعض المناسبات التى تجمع الكثيرين.

وبدأ بدر الزمان يندمج فى جو هذه الصحبة ويزور هذه العائلات وهو الأعزب الوحيد فى هذه الجماعة. وكان حديثه المقنع فى الثقافة والفكر جذابا لكثير من أفراد هذه المجتمعات التى تعيش فى الغربة والذين يشتاقون فى عزلتهم الى ما يكسر جو الملل والضجر المحيط بهم فجعلوا يجتمعون من وقت لآخر فى شبه ندوة أسبوعية يحضرها الرجال والسيدات من

المصريين. وفجأة وجد نفسه محاطا ببعض الجميلات اللاتى يجاذبنه الحديث بغرض لفت النظر- وفجأة وجد نفسه يميل إلى واحدة منهن – كانت امرأة جميلة فاتنة ملفوفة القوام تتسم بالشموخ والكبرياء – لكنها تتمتع بحيوية جارفة كالمهرالجامح التى تحتاج الى فارس يكبح جماحها رغم أنها متزوجة ولها بنتان تركتهما فى مصر مع زوجها الذى لم تعد تحبه أو تحرص عليه، وأمامها هذا الرجل الذى يأسر القلوب بحديثه وهى تزداد ميلا له كلما عرفت عنه شيئا.

فقد عرفت أن زوجته مريضة وأنه يعمل فى المؤسسات الدولية اكثرمن عشرين عاما ولابد أنه قد جمع الملايين. لقد أشرف على الستين لكنه يتمتع بحيوية تتجلى فى بريق عينيه. إنه صيد كبير بلا شك، فأخذت ترمى شباكها وتحدثه عن زوجها الذى لا تحبه ولاتريد الحياة معه، وهو يسمع ويفكر. لقد أحيت الأمل فى نفسه وأشعلت فى كيانه الرغبة فأخذ يفكر فيها ليلا ونهارا. إن صورتها لا تفارق خياله فى النوم واليقظة. لقد استيقظ فى داخله وحش الشهوة المكبوت يريد هذه المرأة الجميلة الجامحة. وهكذا دخل فى مراهقة الشيخوخة. لقد هزته ليلى وهزت كيانه، وصار شيطان الكبت الجنسى يصورله اشياء لم تعد موجودة. إنه قادر بعد السنين على احتواء هذه الأنثى وتعويض حرمانه الطويل. وهى لازالت تغذى فى نفسه هذا الأمل حتى أعرب عن استعداده للارتباط بها على أن يظل ذلك سرا لا يعرفه إلا اصدقائهم المحيطين بهم فى ذلك البلد. فهو لايريد أن يجرح مشاعر زوجته المريضة وقبلت هى هنا الشرط.

وعندئذ عادت الى مصر فى أجازة قصيرة حصلت فيها على الطلاق من زوجها – ثم عادت الى هناك وبعد فترة العدة تم الزواج وصارت الأمورعادية فى السنة الأولى ثم أخذت هذه الجامحة تخطط للإستيلاء على كل شىء فاسست شقة – فاخرة فى هذا البلد العربى – وجعلته يشترى شقة فاخرة أخرى فى مدينة نصر- وفرشتها بأثاث فاخر حتى أنفقت الكثيرمما لديه وعرفت أنه لم يكن يدخر كل موارده الكثيرة بل كان يرسل الجزء

الأكبر منها لابنته ولزوجته لكى تواجه العلاج ولم يبق لديه إلا شقة قديمه فى أحياء القاهرة يمكن أن يعود اليها إذا حكم الأمر.

فأخذت تطالبه بأن يكتب لها شقة مدينة نصر – ثم أخذت تطالبه بأن يدبرلها مال تجدد به الفيلا التى تملكها وحينئذ سأله أحد اصدقائه المقربين لكن الفيلا دى باسم مين؟ أجاب باسم بنات زوجته. لقد زاره هذا الصديق مرة أخرى. طرق الباب طرقا خفيفا حين رأى نور الشقة خافتا. وبعد قليل ظهر بدر الزمان يهتز كالقصبة فى مهب الريح ويتحدث بكلام متقطع مبحوح: ادخل – ادخل –

وبعد تردد دخل صديقه كمال وهو يتأمل مفارقات الأيام. لقد نادى بدر الزمان على زوجته ليلى كى تعد لهما كوبين من الشاى وهنا جاء صوتها قويا من الداخل: وأنت ماتعملش الشاى ليه؟

هنا خرج كمال وهو يضرب كفا بكف ويضحك وقديما قالوا شر البلية ما يضحك. إنها نهاية رجل طيب.

3- راكب الدرجة الممتازة

لا أدرى كيف حدث هذا، ولكن المؤكد أنهم لم يقصدوا أى شيء مما حدث. اننى واثق من حبهم واحترامهم لى فهم تلاميذى الأصفياء والممتازين الذين حققوا أعلى الدرجات واستحقوا أن يكونوا معيدين بالقسم، وانا واثق تماما أنهم كانوا يقصدون راحتى حين طلبوا إلى ألا اشغل بالى بحجز التذكرة لأنهم ايسكنون قريبا من المحطة. وقد أخذت كلامهم على انه قضية مصدقة وهأنذا جئت فى موعدى وركبت القطار.

القطارمزدحم ازدحاما شديدا اليوم، ورغم أننى فى عربة الدرجة الثانية فأنا لا أجد مقعدا خاليا فماذا جرى؟ لابد أن أبحث عنهم – ولكن كيف؟ إننى أتلفت هنا وهناك ولا أرى أحدا منهم على مرآى البصر. وها هو الكمسارى متجه ألى. تذكرة يا بيه. الواقع اننى لا أحمل تذكرة لأن زملائى وعدونى بحجز التذكرة وأنا أبحث عنهم، وطبعا تذكرة الجامعة هى الأولى الممتازة لكنى لا أجد مقعدا خاليا. قلت هذا لكى يفهم منه اننى استاذ بالجامعة – لكن الرجل شرع ينظر إلى نظرة جافة ويتأملنى – ويقول والله انا منتظر لما اشوف أخرتها معاك. معنى هذا أن الرجل يظن بل يعتقد أننى مزوغ – المهم أننى لم أهتم بنظرته المليئة بالترقب والشك وتركته إلى عربة الدرجة الأولى – ونفس الشيء حدث مع الكمسارى الثانى، بلعت كلامه ونظراته وأخذت طريقى حتى الدرجة الثانية مرة أخرى. لم أجد أحدا من زملائى ولم يعد هناك مفر. لقد وقفت أمام كمسارى الدرجة الثانية وهو أمامى لايحيد ولكى أثبت أننى أستاذ بالجامعة فعلا أخرجت النقود من جيبى وطلبت منه أن يقطع لى تذكرة أولى ممتازة. وهنا نظر الرجل الى نظرة اشد استغرابا ولم يكن لنظرته سوى تفسير واحد – إن الرجل يظننى مجنون والا لماذا أقف فى درجة ثانية واقطع تذكرة الدرجة الاولى الممتازة.

4- رودى اللطيف

رودولف بونجوار دى مارسي – هذا هواسمه الحقيقى الذى اختزل الى رودى. كان أبوه يوغوسلافيا يعيش فى مصر ويعمل مدرسا للغة الفرنسية بالمدارس الثانوية. وكان رودلف كاثوليكيا متمسكا بعقيدة أمه، أما أبوه فقد تخلى عن هذه العقيدة وتزوج بامرأة يهودية، وعاش رودلف طفولته وصباه مع زوجة أبيه. ويبدو أنها كانت تقسو عليه بشده مما قضى على التماسك فى شخصيته وجعله غير قادر على الاستقلال بالرأى بل زرع فى نفسه الميل الى الخضوع للأخرين. ويبدو كذلك أن قسوة زوجة الأب دفعته الى التماس العطف عند الخادمة انطوانيت التى كانت تعمل فى منزلهم بالاضافة الى ما يذكره عن قسوة أبيه وضربه اياه بسبب إهماله لدروسه. ورغم هذا فإنه لم يحصل على شهادة الثانوية العامة.

لقد جاورت هذا الرجل وعرفته فى إحدى المدن العربية حبث كنت أعمل مدرسا وكان هو يعمل فى شركة لبيع قطع غيارالسيارات. لازلت أتذكره كلما شاهدت مسلسلا أو فيلما أجنبيا فى التليفزيون. اتذكر هذا الشخص الوجيه الممتلى حيوية وعنفوانا يذكرنى بأبطال الملاكمة. إنه رودولف جارالغربة، الخواجة المتزوج من زوجة مصرية، كانا منظرهما ملفتا بدرجة جعلتنا نتشوق إلى التعرف على هذه العائلة الصغيرة المكونة من الزوجين فقط. فقد كانا يملكان عربة صغيرة بيضاء ماركة رينو الفرنسية القديمة وعندما كان يجلس أمام عجلة القيادة كان يملأ الكرسى الأمامى دون أن يترك مكانا لأحد بجواره، وعندما تعرفت عليهما سألت الزوجة عن سبب جلوسها فى المقعد الخلفى فادعت أن بالباب الأمامى عطلان. كان منظرهما يلفت نظرالجميع، ورغم كبر حجمه إلا أنه يلبس دائما جلبابا وطاقية لاتغطى كل رأسه. كان رجلا بسيطا فى مظهره لدرجة

أننا كنا نتمنى الكلام معه لنعرف قصة حبه وزواجه من هذه الزوجة التى تبدو فى سن أمه، ويبدو من مظهرها ومن حديثها أنها غير متعلمة. فما الذى جمع بينهما وهوالخواجة الذى يجيد الحديث بثلاثة لغات منها الفرنسية والإنجليزية والإيطالية.

حين رأيته لأول مرة أدهشنى مرآه فهو يشبه أبطال الملاكمة والمصارعة من حيث امتلاء الجسم وانتفاخ عضلات الذراعين ونضارة الوجه ووسامته، بالإضافة الى سيارته الصغيرة التى لم يعد لها مثيل إلا فى الأفلام القديمة.

كنت أراه كل صباح وهو ينزل من البيت المجاور لنا فى ذلك البلد العربى الشقيق ثم يركب سيارته ويسيربها محشورا فى الكرسى الأمامى، وفى يوم الجمعة كانت تركب الى جواره زوجته تونه كما كان يناديها. وفى ذات يوم تعطلت سيارتى ووقفت أنا وإبنى نحاول اصلاحها أمام المنزل دون جدوى فتقدم منا وأنقذ الموقف. وعرفت أنه يعمل فى احدى الشركات التى تبيع قطع الغياروأنه يفهم اشياء كثيرة عن اصلاح السيارات لأنه ابتدأ حياته عاملا ميكانيكيا.

وهنا حدث التعارف فقمنا بزيارتهما مرة وقام هو وزوجته برد هذه الزيارة، ومع الأيام كانا يقضيان معنا سهرات طويلة يسردان لنا قصصا وحكايات كثيرة مشوقه كنا نستمتع بها فى بداية الأمر. لكننا اكتشفنا أن زوجته كثيرة العراك مع صاحبة البيت الذى يسكن فيه وتحتد الى درجة الجنون. والحقيقة أننا اكتشفنا ان هذه السيدة لها شخصية مزدوجة كما ان زوجها مزدوج الشخصية أيضا. وكانت معظم حكاياتهما تدور حول صاحبة البيت التى تخرج الى سطح المنزل وهى عارية تماما لايستر جسمها شىء، وتصدر أصواتا غريبة أحيانا بالليل وأحيانا بالنهار. وكانا يفسران ذلك على أنه محاولة منها لطردهما من منزلها. كذلك كانا يقصان حكايات مختلقة تبدو كمحاولة لإخفاء أسرار زواجهما وكنا نتظاهر بأننا نصدقها إلا أنهما كانا يختلفان فى بعض الأحيان فتقول هى شيئا ويقول هو

شيئا آخر فتثور وتنفعل عليه وتتعارك معه، ونقوم نحن بفض هذه الخناقات، والعمل على تحقيق المصالحة بينهما ويعودان معا فى وئام.

كنا فى الصيف نذهب الى الشاطىء معا- وكان هو يجيد السباحة ويلعب مع أولادى الصغار ويعلمهم العوم وأحيانا كان يحملهم واحدا بعد واحد ويعوم بهم فى الماء وكان الأولاد يفرحون بذلك. كان بطلا فى السباحة وعرفت أنه كان بطلا فى البوكس والمصارعة وشيئا فشيئا بدأت الاحظ أشياء غريبة. إنه كالطفل لا يتصرف إلا بإرادة زوجته وأثارهذا اهتمامى فرأيت ان هناك فارقا كبيرا فى السن. فهى تكبره بسنوات طويلة الى جانب انها دميمة ومصابة بالوسوسة، تظن ان الناس يشمئزون منها لأن فى يديها بقع بيضاء تشبه البهاق. وكانت تبالغ فى هذا الإحساس، ويبدو ان هذه كانت حيلة تستخدمها لإبعاده عن الناس.

المهم اننى لا أكاد أفهم سر خضوغه واستسلامه لرأيها حتى عرفت من خلال الحكايات المتضاربة التى تصدرعنهما. انها كانت تعمل شغالة فى بيت أبيه، وكانت تعامله بعطف وتمكنت من السيطرة عليه خصوصا بعد موت أبيه إذ تمزق شمل الأسرة فهاجر أخوه إلى البرازيل وكذلك اخته وزوجها، واستغلت هذه الحيزبون تاثيرها عليه حتى وافق على الزواج منها. لكن المثير للدهشة هو هذا الخضوع الأعمى الذى يشبه خضوع الطفل الأبله لهذه الكركوبه الدميمة حتى أمواله يضعها باسمها فى البنك والشقة باسمها وكل شىء رغم انها لم تنجب له أطفالا.

كل هذا العملاق الجميل المنظركيف يخضع ويستسلم لإرادة هذه الدميمة الرعناء. كنت أرى واتساءل ولا اصدق استنتاجاتى واقول لنفسى ربما نكون مخطئين. أجل أنا وزوجتى وكل من يعرفونه ويعرفون زوجته. وكان مايربطنا به حبنا له لطيبته الواضحة وبساطته الطفولية وتعلق الأطفال به، وسخاءه فى مساعدة أى انسان يحتاج الى خدماته. لم اصدق خضوعه الى هذا الحد حتى جلس معى ذات مساء وكنا فى حفل عائلى بهيج

ومعنا بعض الأصدقاء وأخذنا نروى النوادر التى صادفت كل منا وفجأة أخذ يحكى لنا هذه النادرة – قال:

كانت زوجتى تعطينى عشرة قروش يوميا مصروف جيب أدفع منها اجرة الأتوبيس ذهابا وايابا لعملى وفى يوم من ذات الأيام وانا واقف فى الاتوبيس اقترب منى الكمسرى فمددت يدى فى جيبى كالمعتاد لأخرج العشرة قروش لكننى لم أجدها، ورأيت بجانبى شابا هيء لى أنه لص فنظرت إليه وقلت له انت حرامى.

- يا أستاذ عيب ماتقولش كده
- انت سرقت من جيبى عشرة قروش
- يااستاذ أنا مش حرامى.
- ولم يقتنع رودى بهذه الحجة فلكم الشاب المسكين بقبضته العنيفة مما جعله يترنح ثم أمسك به واصرعلى أن يذهب معه الى قسم البوليس وبعد تحقيق طويل وأخذ ورد نظر رودى الى البنطلون الذى يلبسه واكتشف انه نسى العشرة قروش فى بنطلون آخر خلعه قبل خروجه من البيت لكنه لم يجرؤ على ان يبوح بهذا السر للمحقق.

5 – حالة غش

مسرحية قصيرة

قاعة فسيحة مكتوب علي بابها (لجنة تصحيح اللغة العربية) الوقت صباحا والمدرسون لا يزالون يتوافدون واحدا بعد الأخر –

يدخل الأستاذ مقبل دون أن يلقى تحية الصباح على زملائه وزميلاته .... وهو يزفر بشدة زفرات عالية مسموعة. يمد يده يمسك بكرسى ليجلس عليه وهو يتكلم بصوت مرتفع أعوذ بالله – أعوذ بالله

على: الجو لسه بارد ياشيخ مصلح
(هكذا ينادونه دائما من قبيل المزاح)
مقبل: الستات يا أستاذ ... أعوذ بالله.
أحمد: (يضحك) تانى يا شيخ مصلح؟
مقبل: أعمل ايه يا سيد؟ مش طايق. فى الشارع مش عارف اركب أتوبيس. ما فيش حياء يا ناس؟
(مدرستان. تنظران إليه بغيظ ثم تضحكان معا فى وقت واحد ضحكة ساخرة مثيرة)
على: صبرك يا شيخ مصلح.... يومين وترتاح من المناظر اللى ما تعجبكش.
مقبل: وده حال يعجب مين يأستاذ؟

أحمد: يعجب الأزواج طبعا ...
مقبل: دى مسخرة. ده كفر.. (ثم يغير لهجته ويتكلم بالفصحى) هذه فتنة لعن الله من أيقظها
على: (يحاول أن يستثيره أكثر) بعض الآزواج يحبونها فاتنة..
مقبل: أخص. بقه دول رجاله؟ إزاى يسيبوا بناتهم وستاتهم كده فى الشوارع. النهود بارزة عارية كالكمثرى ...والأذرع المرمرية تفتن الألباب (بحركات تهكمية) والأثواب تكشف عن سيقان بلورية. ثم نلوم الشباب.. يا ويلهم من نار جهنم.. يا ويلهم!

على وأحمد(معا): أيوه كده الله يفتح عليك ...
رئيس الحجرة: جت على هواكم دى ... خذ بالك يا شيخ مقبل العزاب عايزين يجرجروك فى الكلام ...
مقبل: دول مساكين وحياتك ... الفتنة تحاصرهم من كل جانب ... بالله عليك كيف تسمح بوضع البنزين جنب الكبريت ... هذا فساد فى الناس.

مدرسة (1): (ترتدى ملابس عصرية) وانت إيه اللى يخليك تبحلق فى الراكبة والنازلة؟
(الجميع يضحك بصوت عال).
على: قفشة حلوة قوى يا شيخ مقبل.
مقبل: (يشير إليها بيده) أنها تدافع عن نفسها ...
مدرسة (1): يا أخى خليك فى حالك .... واترك الناس فى حالها ...
مقبل: لكن هذا إنحراف. فساد. وأيم الله.. فساد.

مدرسه (2): الله ينظر للقلوب يا مولانا ...
(الجميع يضحك ويقهقه)
أحمد: برافوا أبلةعفاف.. لأ. حلوة دى ياشيخ مقبل ...
مقبل: هذا انحراف وفساد
أحمد: روق يا أستاذ مقبل.. تعالى يا عبده هات
واحد شاى مضبوط للشيخ مقبل ... أنا
هاسألك سؤال وجاوبنى عليه بصراحة ...
مقبل: (فى تشكك) أسأل يا سيد؟
أحمد: تفتكر البلد يبقى شكلها ايه لو كل الستات
لبست عمم وبدأوا يمشوا فى الشارع وهم
شايلين حاجات كده زى البلاليص على
رؤوسهم؟
مقبل: ويمشوا ليه فى الشارع؟ الستات مكانها البيت
مدرسة (1): عشان حكمت على مراتك وسجنتها فى البيت
عايز تتحكم فى الستات كلها ...
مقبل: وليه ما تقعدوش فى البيت وتخففوا الزحمة؟
مدرسة (2): احنا مبسوطين كده. ورجالتنا مبسوطين
خالص .... وان كنت زعلان روح أقعد فى البيت
ويا المحروسة عشان ما تشوفش حد ولا حد
يشوفك (تدخل مدرسة ثالثة)
مدرسة (3): أوه ... الحدوته بتاعة كل يوم. ياعم كفاية..
سيبنا نخلص شغلنا ونروح لبيوتنا
مقبل: اتفضلى يا مدام، خلصى.
(يلقى لها بكومة من الورق وكذلك يفعل مع
الباقيين ثم يمسك بورقة ويأخذ فى تقليبها
فيكتشف وجود ورقة أخرى في داخلها) غش

قلت ان الدنيا فسدت ... وان الفساد عم .....
(الجميع ينظر إليه وهو يرفع الورقة)
ها هو الشاهد والبرهان
على: خير يا شيخ مقبل ...
مقبل: ومن أين يأتى الخير يا سادة.. انه غش فاضح. حالة غش. حالة غش. جريمة خطيرة يا أستاذ! تلميذ فى الإعداية ترك موضوع الإنشاء بعد ان غشه. مصيبة وأى مصيبة!...
رئيس الحجرة: (يمد يده) ورينا يا شيخ مقبل.
مقبل: أنظر يا أستاذ موضوع التعبير منقول بالحرف من الورقة.؟
على: يا شيخ سيبك ما تعطلناش. هو فيه امتحان بيخلى من الغش
مقبل: كيف يا أستاذ؟ من يسمح بالغش يكون مجرما بل خائنا لوطنه ودينه.
رئيس الحجرة: هدى نفسك بس ...وبلاش زيطه ...
مقبل: حتى انت ياريس ... كيف تترك الغش يصل الى هذا الحد. لابد من تحقيق فى هذه الورقة ومعاقبة الطالب والملاحظين.
على: نشوف الطالب كتب ايه الأول ...
(يمسك بالورقة ويقرأ)
(ان تربية الشباب هى مسئولية البيت والمدرسة. لكن ما ذنب الذين لا يجدون رعاية البيت أو المدرسة؟ إن أبى قد طلق أمى منذ سنوات. وتزوج بغيرها.. وزوجة أبى مشغولة بأولادها ... ولا يتسع وقتها لى .. وأبى مشغول بعمله ... وأنا لا أجد فى البيت مكانا يضمنى. ولا أحس فيه بشىء غير الضيق والوحدة. – أما المدرسة وما أدراك ما المدرسة

كل ما فيها يدعوا للغم والكأبة. الشبابيك بلا زجاج والسبورة تحتاج الى علاج والجدران تآكل من فوقها الطلأء وظهرت فيها الفجوات والشقوق ... والمدرسون لايهتمون بإجابة كل أسئلتنا.. وكل إهتمامهم بالدروس الخصوصية.

مقبل: شفتم الإجرام والوقاحة؟ إنه يتهم المدرسين ... انه يتهمكم جميعا بالإهمال والتقصير

مدرسة (2): والنبى يا شيخ مقبل ... ده باين عليه غلبان ومش ناقص أذى.

مقبل: أبدا لابد أن يجازى بأقسى عقوبة ويصبح عبرة لغيره.

أحمد: مهلا يامولانا.. ما توديش الملاحظين فى داهية. ذنبهم إيه؟

مقبل: ذنبهم إيه؟ التستر يا أستاذ... والتستر على الغش جريمة. أمثال هؤلاء لا يصلحون معلمين. أمال الشباب فسد ليه؟

رئيس الحجرة: ما تكبرش الأمور، ياشيخ مقبل. وريح دماغنا دى حاجات بتحصل كثير من العيال.

مقبل: (يصيح) أنا أقسمت (يخطف الورقة من يد رئيس الحجرة ويهرع لرئيس اللجنة بعد ان يفشل الجميع فى إقناعه)

(يأتى رئيس اللجنة إلى الحجرة ويقف محايدا على أمل أن تنجح المعارضة فى إسكات الشيخ مقبل وحين يجد إصراره على التحقيق يأخذ الورقة من يد الأستاذ مقبل ويخرج بها لفحص الكشوف ثم يعود بعد قليل).

رئيس اللجنة: أسمع يا أستاذ مقبل ... انت ما زلت مصرا على إجراء هذا التحقيق؟

مقبل: طبعا يا أستاذ

رئيس اللجنة: ما بلاش اذى ... وده عيل وغلط
مقبل: لا يا أستاذ..... لابد من مواجهة الفساد.
رئيس اللجنة: أمرنا لله يا شيخ مقبل .... مادمت انت مصر على موقفك ....
مقبل: بكل تأكيد. ياريس
رئيس اللجنة: يبقى اتفضل أدلى بأقوالك فى هذا الموضوع
مقبل أى أقوال يا أستاذ؟
رئيس اللجنة: بمراجعة الكشوف وجدنا أن حضرتك كنت مراقب على هذه الحجرة أثناء امتحان هذه المادة.
مقبل: لا يمكن ... غير مقبول.. انا لا أسمح بالغش. ودى مسئولية الملاحظين؟

.

رئيس اللجنة: إنت المراقب عليهم ومسئوليتك أكبر. (يقدم له الكشف) أقرأ ... الأستاذ عثمان جابر والأستاذ عليوه عبد الحميد. والمراقب الأستاذ مقبل حسن.
مقبل: دى حكاية مدبرة ... دى مكيدة يا أستاذ (يلتفت للمدرسات الشامتات) عملوها فينا أولاد الحرام ....

6- الذئب

رقدت فى فراشى واستلقيت عليه مستسلما للأفكار كعادتى عندما يفرمن عينى النوم. وكنت فى مثل هذا الوقت من الليل حين ينتابنى القلق. وتهيج فى نرأسى الخواطر والأحاسيس. كنت أعيش ما يقرب من ساعتين فى معركة الأفكار المخيفة لا أكاد أسمع شيئا غير نباح الكلاب الذى يشق الى أذنى المسافات البعيدة حتى ينفذ من الحيطان. أوكنت أسمع نحنحة الخفراء وهم يمرون فى الشارع من وقت الى آخر. أما هذه الليلة فقد استلقيت على الفراش والليل يقترب من منتصفه، وما كدت كعادتى أستسلم للأفكار حتى ترامى الى صوت أتى من بعيد يقول " يمكن قتلها " وأجابه صوت آخر" لا تستبعد" وأحسست بشىء غريب يدفعنى للوقوف، ويدفعنى الفضول الى استراق السمع وقلت لنفسى لابد أن شيئا خطيرا قد حدث. فمن هوالقاتل.. ومن هي القتيل؟ ولم يطل بى التفكير ففتحت النافذه وأخذت أطل برأسى وأمد رقبتى الى الأمام لأرى صاحب الصوت.

كانت ظلمة الليل حالكة مخيفة وكانت برودة الشتاء القارس تزيد من رهبته. كان الجو كله ينبىء بالخوف والرهبة. وما زلت فى مكانى أحملق بعينى، اريد أن أشق بها حجب الظلام لأرى صاحب الصوت.. بيد أننى لم أر شيئا بالرغم من أننى اسمع همسات مستمرة ووقع اقدام مقبلة نحوى. انتظرت لحظات قصيرة حتى صارت هذه الاقدام تحت النافذة. وحينئذ تنحنحت ثم صحت " ماذا حدث يا؟ " عندئذ توقفت الأقدام وعرفت من حركتهم إنهما رجلان قال أحدهم " أبو حسن. " يقال ان إمرأته غابت عن البيت من قبل المغرب. ولم تعد وعرفت من صوته أنه الخفير مشعل يتحدث الى رجل لم اتبينه. ثم مضى الإثنان فى طريقهما وبقيت فى مكانى أتأمل سكون الليل الرهيب.. ظلام دامس. وبرودة شديدة. سكون مطبق. لعل

سراغامضا يختفى في جوفه. لكن كل ما تخفيه ظلمة الليل سوف تجلوه اشراقة الصباح. لم يكن هناك أمل فى معرفة السر فى هذا الوقت بالذات فعدت الى فراشى.

كنت أنتظر النوم وطال انتظارى فرحت أفكر مليا فى هذا الأمر وحاولت ان ارسم صورة فى ذهنى لهذا الزوج. فأنا أعرفه تماما: محمد ذو الرأس المبروم. شاب متوسط الطول، نحيف الجسم سيء الأخلاق.. يصفه البعض بأنه سافل، طويل اللسان واليد أيضا. كان يخطف كل ما تصل إليه يده. واستهواه هذا الطريق المنحرف وسار فيه حتى أجاد فنون الخطف حتى لقبه أهل القرية " بالذئب " لما بينه وبين الذئب من براعة فى التخفى والخفة واللؤم والذكاء.

كانت عادته فى السرقة هى: أن يزحف على يديه وركبتيه ويتسرب من زراعة أبيه الى زراعة جيرانه أو جيران جيرانه كما يترأى له عندما ينوى ان يسرق شيئا.. ويظل يزحف حتى يصل الى بغيته. وكانت كل سرقاته تكاد تنحصر فى انواع المحاصيل سواء كانت قطنا أو قمحا او ذرة. ففى القطن كان عندما يقصد الى مزرعة يزحف على بطنه فى القنوات، يتلوى فيها كالثعبان حتى يصل اليها فيأخذ فى جمع القطن فى عبه حتى يمتلىء فيعود الى حقل أبيه بنفس الطريقة وهناك يفرغ ما معه فى كيس صغير أعده لذلك ويخرج به من زراعتهم عائدا الى البيت وبهذا الطريق يخفى جريمته فلا تقوم عليه حجة للإدانة. لكن الناس كانوا يعرفونه من كثرة الشبهات التى دارت حوله ومن كثرة تردده على الدكاكين المتطرفة فى القرية التى تتحول أحيانا الى أوكار للصوص والخطافين ومن ثم أخذ الناس يراقبونه ويتربصون به. ولكنه كان إذا – وقع فى يد شخص ما متلبسا بالسرقة، راح يموه ويراوغ حتى يفلت منه وأمام التقريع والتهديد كان يبدو كالثعلب تماما فيرتمى على الأرض متقطع الأنفاس – جاحظ العينين حتى يبدو كالمغمى عليه بل كان يتظاهر بالموت أحيانا بدرجة تلقى

الرعب فى نفس الرجل فيتركه مخافة ان يتهم بقتله او بمحاولة ذلك على الأقل.

وهكذا أفلت من سقطات عديدة ليعود الى هوايته يمارسها من جديد. وكان إذا حدث وذهب أحد الناس يشكو لأبيه ويذكر له حوادث معينة وقعت من ابنه راح الأب يرفع يديه الى السماء ويدعو الله ان يخلصه من هذا الإبن الشريرولكى يظهر براءته وغفلته عن أعمال ابنه المنحرف، كان يتجه الى الشاكى ويقول له فى صوت يشبه الحشرجة " ياناس اقتلوه.. احبسوه.. ارموه فى داهية بعيد عنى. ابنى ما شى على غير طوعى. وتقع هذه الكلمات كقطرات الندى البارد على نفس الشاكى فتهدأ ثورته ويعود قانعا بالصفح والغفران.

لكن الواقع كان يخالف ذلك تماما. فإذا كان حقا ما يقولون من أن – الشبل ابن الأسد فان الخنزير من صلب خنزير. فأبوه يزرف دموع التماسيح ليموه على الناس. وبهذا يخلص من لومهم له فى الوقت الذى هوفيه راض كل الرضا عن هذه الأعمال. فابنه اعتاد ان يعود الى البيت ومعه كل ما سرقه من عباد الله. ففى زمن القطن مثلا يكون المسروق قطنا. وهكذا زمن القمح يكون المسروق قمحا وكان بمجرد ما يدخل البيت بعب القطن مثلا كانت تأخذه منه أخته سمارة أم العيون الجذابه الخضراء ثم تضعه فوق راسها الصغير الجميل وتذهب به الى الدكان وبعد ان تبيعه تعود إليهم ومعها الشاى والسكر ثم تنقد أباها باقى الثمن وتعطى أمها قرطااسا من اللب تتسلى به وهكذا يشترك – الجميع معه فى الجريمة ويباركون سعيه.

وقد سبق لمحمد الزواج بغير خيرية التى اختفت الليلة.. تزوج مرة واحدة وهو لم يتعد بعد الخامسة والعشرين من حسنية بنت الشيخ خلف وهو

تاجر بقالة رقيق الحال يقع دكانه فى مدخل البلدة ويشرف من هذا المكان على الداخل إليها والخارج منها. وكان هذا الدكان هو المكان الذى رأى فيه حسنيه وهو يتردد عليه.. وقد تم الزواج منها سريعا وبعد ستة شهور فقط تم الطلاق ايضا. ولكن أسباب الطلاق الحقيقية ظلت سرا لا يعرفه أحد غير الزوجة المطلقة وأمها وأبيها. كانوا يخفونه خوفا من تهديد محمد ووعيده لهم. ويكتفون بان يقولوا لمن يسألهم بانها لا تستريح مع أمه وهو يكثر الخناق معها ويضربها كل ليلة. ويهددها بالذبح بالسكين ... وعندما عادت الزوجة الى بيت أبيها وعرف انها انفصلت عنه وتحررت من قيده اذ ذاك أحس بالفشل. والفاشل حقود، وحقده لا يقف عند حد. وقد انطلق محمد كالكلب المسعور يريد ان يفعل شيئا يروى به غلته وقبل ان يمض على حادث الطلاق ثلاثة أيام انسل فى ظلمة الليل وسكونه ومد يده بالتخريب فأشعل النار فى جرن القمح الذى يملكه والد مطلقته.

وارتفعت ألسنة النار تأكل القش والقمح وأخذت تمتد حتى كادت أن تمسك بجلباب صدقى إبن الشيخ خلف صاحب الجرن ولكن. قبل ان تلحق بثوبه هب من نومه مزعورا وهو يصرخ كالمجنون. واشتدت الناروتشعبت السنتها وكادت - تمتد الى مجرنة القرية كلها فتحرقها. لولا أن الناس هبوا من نومهم على الصراخ مزعورين وأخذوا يجرون نحو الحريق.. بدأ البعض يبعد القش عن السنة النيران والبعض الآخر يغرف المياه بالأنية ويصبها على النار. وكانت النساء والفتيات يحملن جرارهن المليئة بالمياه ويشاركن بها فى إطفاء الحريق وهكذا اشتركت القرية كلها فى اخماد النار قبل ان يحضر رجال المطافى.

وجه الحاج خلف صاحب القمح المحروق. الإتهام الى محمد حسن.. إنه هو المتسبب فى هذا الحريق المدمرالذى أوشك أن يدمر محصول القرية كها، وأيده الناس كلهم فى هذا الإتهام بالرغم من أن محمد لم يوجد فى مكان الجريمة وبحثوا عنه فلم يجدوه فى القرية كلها. وكان هذا الفرار من أكبر

الأدلة على قيامه بهذه الجناية وأجمع الناس على إحضاره وأمسكوا بأبيه وقدموه للضابط.. وبدأ معه لكن البعض تدخل ليتم الصلح ودفع ابوه التعويض وتنازل الشيخ خلف عن شكواه وهكذا نجا محمد من الحبس هذه المرة أيضا.

رحت أتأمل هذه الصورة فى ذهنى. ما هى دلالتها؟ هل يعنى ذلك أنه هو القاتل وهل اختفاء عروسته فى سابع يوم من زواجها يعنى أنها مقتولة وما سبب القتل؟ لقد قيل إنه تزوجها بعد حب طويل دام سنتين. كان يتردد أثناء هذه المدة على بيتهم، يخرج ويدخل فى صحبة أخيها الأكبر " خليل " وقد قام معه هذا الأخ بالسرقة والخطف فماذا إذن؟ ربما الآمر أهون من ذلك بكثير. وقد لا يعدو هربا من البيت الى مكان ما.. إن أحدا لا يعرف الحقيقة. عند هذا الحد بدأ النعاس يثقل أجفانى وكان الليل يسرع الى نهايته، فاستسلمت للنوم.

وفى الصباح تحول الهمس الى كلام مسموع وأخذت القصص تترى هنا وهناك حتى وصل الخبر الى أسماع المسئولين وكان المبلغ هو ... محمد حسن نفسه زوج خيرية.

كانت غرابة القصة وغموض سرها يحيران الجميع. لقد تحير ضابط المباحث وعلت الدهشة وجهه وهو يسمع من محمد أن زوجته إختفت فى اليوم السابع لزفافها. وفى البيت تعيش معها أم الزوج وأخته. أمر غريب يدعو الى الحيرة والشك، وقد انجلت دواعى الشك والإرتباك بعدأن تعب رجال المباحث من البحث دون أن يجدوا لها أثرا، عندئذ إتجه الضابط الى الزوج واتهمه بقتلها ثم قبض عليه، وخلال ساعات قام بمحاصرة المنزل وتفتيشه وقد أنكر الزوج وباقى أفراد العائلة مسألة القتل ولكن الدماء التى كانت تتناثر فى ركن حجرة نومها ألجمت ألسنتهم جميعا فأشار الضابط

يحفر أركان الحجرة وعلى عمق متر تقريبا من سطح الأرض وجدت ملابس ملطخة بالدماء ولكن الجثة لم يعثر لها على أثر..

وعندئذ ألقى الضابط القبض على الأم والأخت أيضا واتهمهم جميعا بالإشتراك فى الجريمة مع محمد ولكنهم أصروا على الإنكار ورفضوا أن يدلوا بأى إشارة عن مكان الجثة لكن رجال المباحث بدأوا يفحصون الأرض حول المنزل حتى رأوا قطرات – صغيرة متناثرة من الدماء، وراحوا يقتفون أثرها فى الأرض والزرع المروى الذى يجاور البيت حتى انقطع أثر الدماء عند ملتقى ترعة مياه. كانت هناك مجموعة من الكلاب تحوم حول المكان فأوحى ذلك بأن لابد أن تكون الجثة مدفونة هنا وقد وجدت الجثة مدفونة فعلا فى جانب الجسر بمحاذاة سطح الماء الذى يجرى فى الترعة وكانت الرأس مفصولة عن جسدها وفى جبينها طعنات سكين كبيرة .... فى هذه – اللحظات وجد محمد نفسه وقد احتوته الجريمة. ولم يعد هناك مفر منها فإعترف بالقتل وزعم انه طعن فى رجولته.

وبعد هذا انتقل الأمر الى القضاء ووقف محمد أمام القاضى يحكى قصته.. ان خيرية ليست الزوجة الأولى فى حياته فقد تزوج قبلها حسنيه بنت الشيخ خلف البقال وانفصلت عنه بعد ستة أشهر من زواجه بها لأسباب عائلية. وهنا أمر القاضى بإستدعاء حسنيه أمامه لتدلى بأقوالها فيما يختص بأخلاق محمد ومعاشرته لها وكشفت حسنية عن السر الذى أخفته تحت التهديد والإرهاب واحتفظت به مدة سنتين. لكن محمد راح يعارض مطلقته ويقول لها أنها تتجنى عليه وانه كامل الرجولة. غير أن تقرير الطبيب الشرعى جاء مؤيدا لأقوالها، وعند مواجهته بذلك نكس محمد رأسه وراح يخفى وجهه بيديه ويجهش بالبكاء ويقول:
نعم قتلتها لأنها قالت لى ..... " انت مش راجل " .....

7- ورقة بخمسين جنيها

خرج كمال من باب الجامعة الرئيسى ومال ناحية الشمال، ثم وقف بجوارالكشك الذى يقوم هناك. أخرج ورقة من جيبه ثم فضها وأخذ يقرأ. الإسم كمال أديب. ليسانس آداب تاريخ بدرجة جيد. دفعة يونيه 1958ثم هز رأسه وطوى الورقة ووضعها فى جيبه. تجهم وجهه وغامت عيناه.. وأخذت أساريره ترتعش بثورة من الغضب المكتوم. هذه هى المرة الثامنة التى يأخذ فيها كمال مثل هذه الورقة من الكلية. وفى كل مرة كان يتقدم بها الى المسابقات.. مسابقات التوظف التى يعلن عنها ديوان الموظفين والوزارات المختلفة. يجمع أوراقه ويدخل المسابقة ويؤدى الإمتحان.. وينجح ويظل اسمه فى كشوف الناجحين مدة طويلة. ثم يتلاشى وتتبخر الكشوف دون أن يحصل على وظيفة. ودون أن يعرف لماذا اختفت وأين. ويظل فى حيرة حتى إذا ما ظهرت مسابقة جديدة هرع إليها بفارغ الصبر. وهكذا مرت شهور طويلة وعديدة وهو ينتقل من ديوان الى ديوان ومن مسابقة الى آخرى حتى هذه اللحظة التى جاءت به ليحصل من الكلية وللمرة الثامنة على هذه الورقة.

وقف لحظات قليلة بجوارالكشك، وأخذ يدور بعينيه ويتلفت حوله ينظر الى حشود الطلبة الداخلين. والخارجين والى العربات التى تمرق شمالا وجنوبا. وجد نفسه مدفوعا الى عبور شارع الجامعة. ودون هدف محدد حملته أقدامه الى الناحية الأخرى. ووجد نفسه يسير بمحاذاة حديقة الأورمان. لابأس! فهو فى حاجة الى المشى. فقد يخفف عن نفسه الضيق والتوتر. وهو بحاجة الى البعد أطول وقت ممكن عن جو الحجرة التى يعيش فيها فى احدى شوارع الجيزة الضيقة والمزدحمة. سار فى طريقه بخطوات بطيئة، يرفع قدما ويحط قدما، حتى يخيل لمن يراه أنه يحمل شيئا

ثقيلا أو أن أقدامه مغروزة فى تل من الرمال. وكان هو كالتائه لايهتم بما حوله ولا ينظر إليه. وكان يتحرك بجسمه الممتلىء حركة بطيئة وكأنه فى حاجة لمن يدفعه الى الأمام. كل أعصابه تنتفض وترتعش.. والعرق يتصبب من جبينه. شعور غريب بالارهاق. وحركته بطيئة. كأن عضلاته قد أصابها شىء من الجمود أوالشلل. ليس فى حركته سهولة أوانطلاق.. على غير عادته. ويبدو أنه أدرك فجأة هذه الحالة.. فقد توقف ودار حول نفسه ينظر الى المسافة التى قطعها فى دقائق معدودة. لاتكاد تصل الى عشرة أمتار. وخيل إليه أن المارة ينظرون إليه والجلوس يتأملونه. فبدأ بشد رجليه بقوة ويرفع قامته ويسير بسرعة أكثر.. لكن منظر الحديقة شده بقوة. الحشائش الخضراء. والشجر والظل. فى فصل الربيع. فعادت حركته الى الإبطاء.. ولكنه أخذ يطيل النظر إلى داخل الحديقة ويتفرس فى الوجوه وفى الأشجار وفى كل شىء. وكأنما يبحث فيها عن شىء يخصه.

وقع بصره على شاب وفتاة يجلسان على الحشيش الأخضر. وفوقهما شجرة كبيرة تلقى عليهما بظل ظليل. يحميهما من شعاع الشمس التى بدأت تزداد حرارتها مع حلول شهر يونية وبداية الامتحانات. وشده المنظر فوقف يتأمله. ورغم أنه كان قريب منهما فلم يبدو عليهما أى إهتمام بوقوفه أو نظراته إليهما. كانا غارقين فى حديث طويل.. تقطعه الضحكات. والكتب ملقاة بجوارهما. إنهما زميل وزميلة. ولعلهما حبيب وحبيبة. ولم لا إن الزمالة والمذاكرة. هى فرص لخلق علاقات الصداقة والحب.. وكثيرا ما كانت سببا فى جمع شتات قلوب متعطشة الى الحب والحياة.

ليس ببعيد اذن ان يكونا حبيبين.. يتكلمان عن الحب والزواج. ويعيشان فى الأحلام السعيدة. لقد عاش هو نفسه التجربة. وكانت اللقاءات فى هذه الحديقة حيث تحولت الزمالة الى صداقة. والصداقة الى حب. ومراجعة الدروس الى نجوى وأحلام. هنا اتفق مع نوال على الزواج ومازال حتى الآن يجد ويسعى حتى يحقق هذا الأمل. لكن من أدراها هى بحاله.. ربما

بدأت تشك فى إخلاصه.. لقد مرت شهور طويلة اقتربت من العام منذ ظهور النتيجة ولقاءهما الأخير.. هذه الشهور كفيلة بأن تثير الشك وتؤكده فمنذ ذلك اليوم لم يتصل بها. ولا يعرف كيف يمكنه الإتصال دون أن يسبب المتاعب والأقاويل.. فهى تعيش مع والديها بعيدا جدا عن القاهرة. وهما لا يعرفان بسر العلاقة بينهما. فكيف يستطيع ان يغامر بالكتابة إليها فقد يضعها ذلك فى موقف حرج.. فكيف يجنبها الإحراج والأقاويل السيئة. وهوغير مستعد لتحمل أى مسئولية الأن. لأنه مفلس وخال شغل. ولايبدو أنه سيحصل على عمل فى وقت قريب حتى الأمل ليس لديه منه شيء يمكنه من بذل الوعود.. فكيف يمكنه ان يكتب لها. وما الذى يمكن أن يقوله.....

شهور طويلة مع الشوق والألم والأحلام. الأمال التى كانت تداعبه فى البداية. أخذت تتلاشى شيئا فشيئا مع تجارب الدواوين والجرى وراء الوظائف. انه يريد ان يراها ويجلس إليها. ويحكى لها عما فى نفسه، وفى نفسه أشياء كثيرة يريد أن يحكيها لها. عن المساعى الخائبة. والوظائف التى لا تكاد تبرق حتى تتلاشى كالسراب. بعد أن تكلفه ما لاطاقة له. يريد هو أيضا أن يعرف منها ماذا فعلت بالليسانس. ماذا حققت حتى الأن؟ والى أى نتيجة – وصلت؟ هل حصلت على وظيفة؟ لماذا لم تتقدم مثله الى أى واحدة من هذه المسابقات؟ لم تفعل ذلك أبدا وإلا كان قد رآها وتكلم معها. لماذا لم تظهر فى هذه المناسبات؟ هل وجدت عملا؟ هل تزوجت واستغنت عن ذلك كله؟ وربما لم تتقدم لأنها تعرف نتائج هذه المسابقات مقدما. ووصلت مبكرا الى ما وصلت إليه أنا الأن من خيبة أمل. إنها مسكنات نتعاطاها من وقت لآخر حتى تمر الشهور والسنين. ربما استراحت لهذا السبب. وربما استطاع أبوها بوسائله الخاصة أن يحصل لها على وظيفة. وهى وسائل لا أملك أنا منها شيئا ولا أبى. لكن هناك أناس يملكون وسائل شتى. كثير من زملائى تسللوا الى الحكومة والشركات بغير إعلان أو مسابقة ... واحتلوا مراكز هامة. لا شك إنهم يملكون وسائل سحرية وطرق عجيبة. أما أنا فلا

أملك شيئا منها.. ليس لمثلى من الفقراء والكادحين الا أن يجرى وراء هذه المسابقات المضللة. وعليه أن ينتظر ثم ينتظر الى أن يشاء الله فيصل الى الوظيفة أوتدركه المنية.

طال به التفكير والوقوف فجلس على السور. ومشهد الفتى والفتاه يخطف بصره بين لحظة وأخرى.. هنا كان أخر لقاء بينهما بعد أن خرجا من الإمتحان. وفى هذا المكان بالذات كان جلوسهما.. ساعات طويلة مضياها فى حديث عذب لم ينقطع.. لم يشعرا بالوقت وهو يمشى حتى أوشكت الشمس على المغيب. ساعات جميلة مرت فى حديث عن النجاح والعمل وآمال المستقبل السعيد. أين هو هذا الأمل الأن؟ كان وجهه يشرق علينا من كل جانب مع أشعة الشمس المتسللة من بين الأوراق.. وكان يوحى بقرب الراحة والاستقرار والسعادة. يومها شعر كمال بأنه مشدود الى نوال بخيوط قوية فكان كلما حاول أن يودعها تذكر كلمة أو فكرة فعاد اليها. كذلك كان موقفها منه. لم تكن ترغب فى الافتراق عنه. لقد مد يده ليصافحها فبكت وطفرت الدموع من عينيها. دموع لا ينساها أبدا ما أجمل دموع الحب والاخلاص. وما أعظم جمال المرأة عندما تحب.. أما الرجل! لم يستطع أن يكمل الجملة. ولعله خجل من الدفاع عن نفسه فراح يقول" لعلها تقول الأن إنى خائن " فالرجال كلهم خونه فى نظر كثير من النساء.. وهالته هذه الفكرة فانتفض من مكانه كمن لدغته عقرب. ولو أن أحدا رآه فى هذه اللحظة لضحك منه أو ظنه مجنونا. ربما راودتها هذه الفكرة اللعينة عن الرجال، وما الذى يمنع؟ فأنا لم أكتب لها منذ افترقنا. حتى فرصة ظهور النتيجة لم انتهزها وأرسل برقية تهنئة كما يفعل الأقارب والأصدقاء عادة.. فكيف تعرف أننى لازلت عند وعدى بل كيف تعرف ومن أين إننى لازلت حيا يرزق أو على الأصح حيا لا يرزق مطلقا. وكل ما أفعله الأن أننى أجرى من ديوان الى ديوان ومن مصلحة الى أخرى سعيا وراء العمل. لماذا لا أبعث لها برسالة أحكى فيها عن كل هذا؟ كلمات رقيقة تشبع فضولها الى المعرفة وتطمئنها بطريق غير مباشر على موقفى منها وقد

تثنى على شجاعتى وصبرى. وقد تجد مبررا للانتظار. لكن هيهات أن يجد الشجاعة لفعل هذا؟

لكن لآ. هذه مسكنات لاتشبع ولاتغنى من جوع. مافائدة الكلمات التى لاتجد طريقها الى التحقق. انها كاوراق الخريف الجافة لاتعطى ظلا ولا أملا. وربما تثير حولها الأقاويل وقد تثير غضب أبيها وتقلب حياتها هما وغما.. وقد يحدث ما هو أسوأ فيثير الخطاب فيهم الشفقة والرثاء لحالى والتندرعلى الحبيب المجهول الذى بعث لهم بأوراق إفلاسه مقدما ولاشك أن ذلك سوف يصيبها بخيبة أمل بل بصدمة عنيفة قد تقضى على كل ما تحمله لى من إحترام وهذه هى الكارثة الحقيقية.

كيف أفعل هذا فى الوقت الذى كان يجب على فيه زيارتهم للتعرف على والديها والتقدم لها وطلب يدها كما وعدتها. والخطاب الذى يسبق حضورى عندهم لابد أن يعطى صورة مشرفة ومشرفة أيضا. لابد أن يكون صورة للشاب المحب الواثق من نفسه ومن مستقبله. لكن هذه الفرصة لم تتوفر بعد ولا أعرف متى تأتى. كل منا فى حالة انتظار. هى تنتظر حضورى وانا انتظر الوظيفة والمال ولاشىء يحدث سوى االحيرة.

لقد تحمل أبوه ما لايحتمل فى سبيل تعليمه. وهو يضع عليه أكبرالآمال. فقد كان كمال أكبر أخوته وكان فخورا بنجاحه سنة وراء سنة. كان يظن أن حصول ابنه على شهادة جامعية سوف يضمن له وظيفة محترمة براتب كبير يضمن له مركزا اجتماعيا مرموقا. يرفع قدره وقدر الأسرة كلها فى عيون أهل البلد. ويجعله موضع حسد الأعيان والأغنياء. لذلك دخل كمال الجامعة وترك أباه المزارع الصغير ينفق عليه وعلى ثلاثة أخوة يصغرونه فى مراحل التعليم المختلفة. وقد اضطرته هذه النفقات فى آخر الآمر الى الإستدانة – وكان أمله أن يتخرج ابنه الأكبرويحصل على الوظيفة المأمولة

ويساعده فى تعليم أخوته الصغار والأن ها هو كمال قد تخرج ولكن الى الشارع يبحث عن عمل أى عمل يلائم تعليمه ويضمن له لقمة العيش.

ومن فرط حرصه على أن يكون أول المتقدمين لكل وظيفة أصبح يحمل أوراق – التمغة فى جيبه كأنها حبات الأسبرين. لكن أين هى الوظيفة. إذا كانت كل وظيفة يتقدم لها ألف طالب وبعد التقديم يظهر اسمه لحظة ثم يضيع فى زحام الناس لإعتبارات كثيرة. بعضها متعلق بفرص العمل ذاتها. وبعضها تخص المتقدمين. كل هذا التعب والجرى وشقاء السنين.. من أجل وظيفة وخمسة عشر جنيها فى الشهر. ليته إختصر الطريق واشتغل بشهادة الثانوية. وما كان أجداه ان يفعل ذلك. ليوفرعلى نفسه كثيرمن المتاعب. متاعب السهر والمذاكرة أربع سنين. أنفق فيها من المال الشىء الكثير. ولو توفرت هذه النفقات لأتاحت لأخوته الصغار ان يتعلموا فى غير ضنك فربما يكونون افضل حظا منه. كان فى إمكانه ان يختصر الطريق ويوفر الكثيرمن المعاناة له وللآخرين. بعد اربع سنوات من العمل والجد والخوف والقلق والحرص على النجاح. شهورا واياما قضاها بين الأمل واليأس.. تجارب تهز المشاعر والوجدان.. كان خوفه يزداد عقب كل امتحان. فالسقوط بالنسبة له شىء فظيع مخيف. إنه يعنى ان يصبح العام عامين.. ان تتضاعف نفقاته وأن تزداد ديون أبيه. وأن تتعذب أمه واخوته ....

لقد عانى قسوة التفكير فى مستقبله ومستقبل أخوته. وفكر فى أشياء كثيرة، مشاكل مؤقته ومشاكل مزمنة. حتى الحب كان يفكر فيه. فسنين الدراسة الجامعية. كانت سنين غربة. نقلته من ريف الصعيد الى قلب العاصمة. ومن بين الأهل الى زحام المدينة. وفى هذا الجو أحس بالغربة وبالحاجة الشديدة الى الحب. وقد وجده عند زميلته نوال. أول مرة جلس بجوارها شعر بالارتياح لها. كلمات قليلة أثارت إهتمامه. ويبدو أنها كانت مثله فى حاجة الى هذا الإقتراب. اقترب كل منهما الى الآخر. بسرعة تعاونا كما يتعاون الزملاء، وبدأ التفاهم بينهما يزداد ويقوى حتى وصل الى

الذروة وقد أفاده هذا الحب وأفادها أيضا.. وخفف عنهما ألم الغربة وعذاب الكفاح.

عند هذا الحد من التفكيررفع رأسه. وهو يتكلم بصوت مسموع " لا يانوال. ابدا. أنا لست نادما على حبك.. آه لو تعرفين حقيقة مشاعرى وما أكنه لك من حب وإخلاص. لما جرى فى خيالك أى شك من جهتى ولتأكد لك إننى عند كلمتى.. وإننى اتلهف على يوم ألقاك فيه مرة أخرى وسوف أفعل المستحيل فى سبيل ذلك. لكن مهلا أى مستحيل لم أفعله حتى الآن " ان الأرض كادت تشكو من مشيه فوقها.. وجريه وراء الوظيفة هنا وهناك. إنه يعلم ذلك ويشعر به. وأطرق أطراقة قصيرة توقف فيها فكره وخياله. وبعدها عاد يقول لنفسه من جديد. ان خمسين جنيها تحل مشكلتى الآن على الأقل مع نوال ... اذهب لأبيها واقدم لها شبكة.. أى شبكة تثبت حسن نيتى وتحفظ كرامتى وكرامتها. آه خمسين جنيها تنفع.. لمعت الفكرة فى خياله المتأجج ثم إبتسم فى سخرية مريرة. اين هى الخمسين جنيها. من أين؟ ليس هذا ممكنا الآن.

كان ذلك ممكنا وميسورا فى بداية حياته الجامعية.. كان يأتى من البلد كل عام وفى جيبه مثل هذا المبلغ، يشترى ملابس وكتب ويدفع مصاريف الدراسة. أما الآن فقد تخرج وما كان أغناه عن التمنى لو عرف هذه النتيجة حينذاك وعمل على تجنبها. وبحث عن وظيفة بشهادته المتوسطة. وتحمل مسؤلية نفسه وترك اباه يكافح من أجل أخوته ربما لو عرف ذلك فى حينه لاتجه فكر أبيه الى شىء آخر بعيدا عن التعليم. شىء أقل ارهاقا وأكثر ضمانا من حيث الإنتاج. شىء آخر يجمع به الفلوس. اليست غايته من الشهادة الجامعية فلوس أكثر. ان الفلوس تحقق لأصحابها امتيازات لا – تحققها أعلى الشهادات الجامعية. انها تضيف لهم الألقاب والنياشين وتضعهم فى مراكزالسيطرة والتحكم فى مقادير الناس. بل أكثر من ذلك تضيف لهم المهابة والأناقة التى تعوضهم عما فاتهم من تعليم. الأغنياء

وحدهم فى هذا البلد هم الذين يتمتعون بثمارها. فى أحضان الحياة يعيشون ويتمرغون فى اللهو واللعب والمغامرات. يتذوقون حلاوة الحياة وعنفوان التجربة. فى إمكانهم أن يتذوقوا اللذة حتى قمتها والكأس حتى ثمالتها كما يقولون. أما أنا صاحب الليسانس، فقد عشت أهم سنين حياتى سجين الكتب والمذاكرة. أما الحياة.. فأنا متفرج عليها.. والآن مفلس وعاطل وكما قال بيرم التونسى.:. "ياريت ابويا كان ربى بهيم." وكاد ان يصرخ. أى والله! لو فعل ذلك لكان لديه الآن رصيد كبير. لو استثمر مصاريف سنة واحدة من سنين الدراسة.. فى مشروع كهذا لأثمر كثيرا وتحول عن طريق الربح المركب الى رصيد كبير ألف وألفين من الجنيهات. يملكها ويصبح من الآغنياء يلعب ويلهو ويخلق فرص العمل له ولأخوته. لامجرد عاطل يتمنى خمسين جنيها.

عند هذا الحد من التفكير بدأ يتأوه ويشد أنفاسا عميقة من الهواء ثم يزفر زفرات حارة وهو يضع يديه على رأسه ويضغط عليها إنه يخاف عليها أن تطير. أوه.. استغفر الله العظيم. مالى أنا وكل هذه الأفكار السوداء؟ ليس لى ذنب طبعا. فقد كان أبى ينفق على وكنت أنا اسهر واجتهد. وقد نجحت لم أتخلف ابدا.. وحصلت اخيرا على الشهادة. صحيح اننى تخرجت من الجامعة الى الشارع.. لكن هذا ليس مسئوليتى! إنه أمر خارج عن إرادتى. ربما يكون من عمل الحظ السىء. والظروف القاسية أو المجتمع المتخلف وإمكانياته المحدودة أو الدولة والحكومة. وربما. وربما والمهم الآن هو مصيرى، مصيرى أنا! هذه هى المسألة كما يقول هاملت.. إذن لابد من عمل. وسار فى الطريق يضرب الأرض برجليه كأنما يريد أن يخرقها غيظا وانتقاما حتى بلغ نهاية الشارع وعند عبور الميدان الى كوبرى الجامعة، توقف قليلا ريثما يمر زحام العربات.. وعلى حين غفلة رفع عينيه الى تمثال نهضة مصر. وتطلع إليه فى دهشة كبيرة كأنه يراه لأول مرة، ثم إبتسم بسخرية. تبا لك أبا الهول! حتى أنت تحتاج الى أمرآة تشد عزيمتك وتدعوك للنهوض! ما أقوى المرآة وما أقدرها على التأثير فى

الرجال. لقد ابتسمت حواء لآدم فعرف المغامرة والعصيان.. وترك الجنة الى أرض الشقاء وهو يبتسم. ومازال حتى اليوم يسعى ويتقرب اليها لينفض عن نفسه سأم الحياة ومللها.

فى هذه اللحظات أخذ يتلفت حوله خشية أن يكون قد تنبه إليه أحد أو سمعه. ثم أخذ يسعل بصوت مرتفع كما يفعل الحارس اليلى حين يرفع صوته لينبه الآخرين ويبعد عن نفسه اللصوص. والحقيقة. كانت أفكار كمال هى اللصوص التى لم يستطع أن يطردها أو يتخلص منها. إنها لصوص لا ترى. لكنها تنفذ الى قلبه وعقله وتكاد تفتك بهما. فلم يكد يعبر الطريق فى هدوء. ويضع قدميه على كوبرى الجامعة، حتى هجمت عليه من جديد واسترسل معها فى شبه غيبوبة. وفجأة استدار ناحية التمثال. نعم المرآة هى أيضا قوة عظيمة فى هذا الوجود.. المال والمرآة. قوتان هائلتان – تحركان العالم الى التقدم أو الى الحروب. هذه المتاعب التى تعصف بى الآن ليست جديدة على. ولكننى أهتز بعنف.. لأننى لا أجد السند.. لا المال ولا الحب.. ولا العمل. المال يؤدى الى المرآة.. ومع الحب تهون متاعب الحياة. وقد ذقت المتاعب من البداية وخبرتها. والفت الفقر والحرمان سنين طويلة. ومع ذلك لم أفقد الثقة أو الأمل فى الحياة لحظة واحدة.. عانيت الخوف من الفشل والحرص على النجاح وذقت الجوع ليالى.. مع السهر والمذاكرة.. فى انتظار وصول رسائل ابى والنقود. كنت أقتر على نفسى فى نفقات الأكل واللبس والكتب واستغنى عن أشياء كثيرة وكنت اتحمل بصدر رحب ورضى. لم أنهزم أبدا الى هذا الحد. ولم أضعف هكذا أبدا ذلك لأن نوال كانت بجوارى. كانت كلماتها تعزينى وتملأنى بالقوة والسعادة. سعادة تعوضنى عن كل ما ألقاه لم تكن تعرف كل ما أعانيه ولكنها كانت تدرك ما يكفى منه وكانت تحس بمشاعرى وتقدرها. كانت تعتبرنى مكافحا كبيرا وتشاركنى بعقلها وعواطفها. كانت تصب فى أذنى كلمات التشجيع فتلهب حماسى. وتدفعنى الى العمل بقوة ونشاط.. كانت تردد الحكمة العظيمة: لكى نكون عظماء لابد من ألم عظيم. وكنت أطرب لسماع هذه

الكلمات. كان إذ ذاك كل شيء جميلا – وعظيما ويوصل للعظمة. الجوع والفقر والسهروالحرمان. أشياء عظيمة فما أحلاها. كانت نوال إذن هى مصدر الإحساس وتلك السعادة. أما اليوم فلاشيء من هذا كله. تبخرت كل أحلام السعادة والعظمة. لاشيء يدعو الى الرضى. لاشيء يدعو الى الأمل. كدت أفقد الثقة فى كل شيء بعد أن يئست منى. وظنت انها كانت مخدوعة فى المكافح الكبيرالذى تصورته يوما ما.. واخذت تجترالذكريات. وتقول اننى نسيتها. وأننى طبعا خائن بوعدى. لكن كيف أفى بهذا الوعد؟ . ومن أين أحصل على المال كى أزورها وأقدم هدية أو أقدم شبكة؟!

محب عاطل لا أجد عملا.. وربما هى تعلم هذا.. بطريق أو آخر. لكن هذا لايكفى. يجب أن تعرف منى أنا. وهذا يتطلب خمسين جنيها. فأين هى الخمسين جنيها لو وجدت عملا منذ أيام التخرج لكان فى استطاعتى أن أتمم هذه الخطوة. كنت وفرت خمسة جنيهات في كل شهر.. كنت اشتركت فى جمعية وقبضتها الأول. أو كان يصبح فى يدى عمل. وفى قلبى أمل وفى عندى حماس. قوى أما الأن!!

قطع شوطا طويلا على الكوبرى حتى أدركه التعب. وهو لايكاد يحس بوجود العربات التى تضج من حوله. ولعل ضجيج الأفكار والهواجس التى كانت تدور فى عقله قد غطت على كل صوت آخر فلم يسمع شيئا. حتى أذا ما وصل الى منتصف الكوبرى وقف هناك. وقد استرعى نظره منظر مركب شراعى كبير قادم من ناحية الشمال. كان الجو ساكنا. والشراع مفرودة. على آخرها. والمركب تتجه فى طريقها ببطء شديد. تغالب تيار الماء الذى يسير فى عكس اتجاهها ... فيمنع تقدمها فتبدو للعين كأنها واقفة على صفحة الماء لا تتحرك.

استغرقه هذا المنظر وقتا ليس بقصير. فأخذ يتأمله ويتأمل ما يحيط به من مظاهر الكون. الماء الهادى والسماء الصافية إلا من سحابات صغيرة بيضاء تتحرك فى تثاقل كأنها قد تعبت من طول المسير. شغلته هذه الأشياء

عن نفسه. فأحس بالارتخاء. وبدأ عقله يسكن وتهدأ فيه الخواطر.. وتعود الى وجهه اشراقته شيئا فشيئا وهو يمسح قطرات العرق المتصبب على جبينه. لقد أدرك انه تعدى حدود التفكير المشروع. لقد نشأ نشأة دينية. ومنذ صباه وهويحافظ على تعاليم دينه. ويداوم على الذهاب الى الكنيسة وحضور الإجتماعات كما يداوم على الصوم. ويؤمن با الله إيمانا قويا. ويرى أنه يفعل كل شيء طبقا لحكمة سابقة لايدركها البشر فلم كل هذا الشرود؟ ان المستقبل بيد الله. لكنه حتى فى هذه اللحظات التى صحا فيها وعيه. وبدأت تتسامى فيها أفكاره. لم يستطع أن يقاوم الهواجس حين هجمت عليه من جديد. فتحرك من مكانه وهو يهمس لنفسه، لم أحصل على عمل، وليس أمامى مصدرا آخر للرزق. إن أبى قد أرهقته النفقات وليس فى أستطاعته أن يتحمل المزيد. ولايستطيع أن يفتح معه هذا الوضوع. أوأن يطلب منه هذا المبلغ الآن. ربما يعتبره الناس – مهووسا أو مجنونا! وربما جرحوا شعوره بالكلمات. قد يقول البعض، كل عيش الأول، وبعدين فكر فى الزواج. وهذا حق .... ويكفيه هو أنه تعلم وتخرج فى الجامعة. والى الشارع. إنه نجاح على أى حال.

بدأ وجهه يشرق ويضيء وهو يردد. إنه نجاح على أى حال.. فبدأ يصحو فى نفسه الأمل الذى تغذيه العاطفة الدينية حيثما تثار. تلك العاطفة التى ترسخت فى أعماقه بفعل التربية. وكأنه يريد ان يعتذر عن تلك الأفكار اليائسة فيهمس لنفسه. كل شيء مستطاع عند الله. لماذ تفكر هكذا – فى الغد، ان الغد يهتم بشأنه. لماذ تستكثر على الله ان يبعث بخمسين أو بمأئة أو بألف من الجنيهات وينتشلنى من هذا الوضع! ففى مقدرته ان يملأ جيوبى الخاوية بأوراق من الخمسين والمائة. فهو لايبخل على المؤمنين. لقد كفل بنى اسرائيل اربعين عاما فى البرية. وغرق فى هذه الأفكار الجديدة حتى أذنيه كأن عواطفه لا تعرف الاعتدال أبدا. فهو لايكاد يترك النقيض حتى يتحول الى نقيضه. فشرد مع هذه الأفكار حتى كاد يصدق أن السماء تمطر ذهبا .... لم لا؟ لقد أمطرت المن والسلوى على بنى إسرائيل فى البرية..

وأشرق هذا الخاطر فى نفسه وخياله وهو يتطلع الى البحرووجهه يزداد إشراقة كأنما قد وصل فعلا الى الحل. نعم. السماء قادرة على أن تمطر ذهبا. بل أوراقا كثيرة من فئة الخمسين والمئة ولا أستبعد أن افتح حافظتى فأجدها مليئة الآن! وكاد يصدق أن بجيبه خمسين جنيها.. بل لعله صدق هذا بالفعل فراح يفكر فى نوع الهدية التى يمكن أن يقدمها الى حبيبته وهل يأخذ شبكة أم هدية؟ وأخذ يناقش هذه الأفكار بينه وبين نفسه وهو فى غاية النشوة. حتى إذا ما وصل الى نهاية الكوبرى سمع بائع الصحف وهو يصيح ...المساء ... آخر موعد لإستبدال أوراق العملة الكبيرة. وبعدها يتم إلغاء. التعامل بهذه الأوراق: المائة جنيه والخمسين جنيه ... ودون أن يدر مد كمال يده فى عصبية الى النسخة التى فى يد البائع وتعلق بصره بالعنوان الكبير ...ثلاثة ايام على استبدال الخمسين جنيها وتأمله لدقائق. ثم مد يده الى جيبه ليخرج ثمن الجريدة ... وعندئذ اتبسم إبتسامة مريرة. لقد أدرك انه كان فى حلم لذيذ ...

8- فى بيتنا أرنب!

اشتهت زوجتى لحم الأرانب، فذهبت للسوق واشترت أرنبا. ولما رأه الأولاد الصغارفرحوا به فرحا عظيما، وراحوا يدورون حوله ويتفرسون فيه ويداعبونه. ويتحدثون عن جمال شاربه وبريق عينيه، ويتنافسون على حمله، وكل واحد منهم يريد أن يحمله ويحتضنه ويداعبه، كأنما لم يروا أرنبا من قبل.

المهم ان زوجتى تريد أن تذبح الأرنب. وهنا صاح الأولاد: لا.لا. حرام يا ماما ده أرنب جميل. وفجأة قال أحدهم. ده مش أرنب دى أرنبة ورد الثانى فعلا أرنبة. شوفوا بطنها.! فرد الثالث دى حامل.

وهنا ضحكت الأم وهى تدعو الأولاد للكف عن الكلام وبعد قليل أخذ الشك يساورها، فقررت أن تستشيرزميلتها بالمدرسة " أبلة لبيبة " التى تزعم انها خبيرة فى شئون الأرانب وتربيتها وفعلا حضرت " أبلة لبيبة " الى منزلا وفحصت الأرنب فحصا شاملا ودقيقا واعلنت رأيها: انها أنثى.. ولكنها ليست حامل، ولا ضرر من ذبحها. اقتنعت زوجتى بهذا الرأى وطلبت الى أن أعاونها فى عملية الذبح.. فاتجهت اليها فرأيتها تمسك فى يدها اليمنى بسكين حادة كبيرة. وفى يدها اليسرى تمسك بالأرنب. ولم أكد اقترب منها وانظر الى الأرنب المسكين حتى ارتعدت. إننى لا أقوى على رؤية الدم. واستغربت كيف أن زوجتى الجميلة الوديعة تقوم بهذا العمل بكل هدوء واطمئنان. فنظرت إليها والى الأرنب وهو ينتفض فى يدها وضحكت قائلا: انتظرى أيتها السفاحة الرشيقة!

وهنا انفجرت فى الضحك، وبدأت يدها تهتز فأسلمت الأرنب المسكين لى وهنا أمعنت النظر فيه وهو يرتعش وقلت! انظرى الى بطن الأرنبة. انها كبيرة جدا ولابد أن يكون فى بطنها أولاد. ثم سألت بحدة: لماذا لا نتركها بضعة اسابيع حتى نقطع الشك باليقين وردت فى استسلام: ليكن مادام هذا رأيك. وصاح الأولاد فرحين، وراحوا يبحثون عما يجب عمله نحو هذا الحيوان المسكين فرتبوا له مكانا فى بلكونة المطبخ، وأخذوا يدبرون له ما ياكله من الخس والبرسيم كل صباح.. وحددوا لكل واحد منهم يوما ينهض فيه مبكرا ليحضر له البرسيم والخس قبل ذهابه الى المدرسة. كان كل واحد منهم يطمئن قبل خروجه من البيت على ان الأرنب قد أكل إفطاره.

وهكذا نمت علاقة الحب والإهتمام نحوهذا الحيوان الجميل. لقد تحول الأرنب فجأة الى مصدر سعادة غامرة للأولاد الصغار حتى أختهم الصغرى إيرينى. كانت تشاركهم هذا الاهتمام وتقف أمام الأرنب لحظات طوال تنظر اليه وتتأمله ثم تداعبه وترسل اليه القبلات وتطمئن عليه عند خروجها للمدرسة وبعد عودتها وقبل أن تنام.

هكذا صار هذا الحيوان فردا ضمن افراد الأسرة. بل إنه أصبح موضع الاهتمام والتأثير عند الأولاد ... يشدهم نحوه. ويستثير فى قلوبهم الغضة أجمل مشاعر الحب والحنان وهى مشاعر تزداد قوة يوما بعد يوم.

لم تمر سوى أسابيع قليلة حتى فوجىء الجميع بالأرنبة وحولها سبع أرانب صغيرة جدا. لقد انجبت هذا العدد الكبير فى مرة واحدة.. وفرح الأولاد برؤية هذه الكائنات الصغيرة فرحا لا حدود له. وأخذوا يتحدثون همسا. وكأنهم يخشون إزعاجاهم، لأن أمهم اخبرتهم ان الأرانب الصغيرة تموت سريعا اذا ازعجها أحد.. أو امسك بها فاكتفوا بالنظر اليها من بعيد. وازداد اهتمامهم بتغذية الأم، حتى تغذى الصغار كما ازداد حرصهم على المحافظة عليهم بتوفير الهدوء التام فى المنزل. وفى هذا الجو الهادىء نما الصغار سريعا وكبرت أحجامهم. وهنا ظهرت المشكلة الحقيقية. مشلكة ضيق المكان والإزدحام. ان بيتنا لايزيد عن ثلاث حجرات وصالة كبيرة. وليس بها متسع لتربية الحيوانات، وحتى بلكونة المطبخ لا نستطيع أن نتركها طويلا لهذه الحيوانات الجميلة. لأنها تحتاج الى نظافة مستمرة وهذا يشكل عبئا ثقيلا على زوجتى. فكيف نحل هذه المشكلة؟

قالت زوجتى: نذبح الأم أولا.. وصاح الأولاد فى صوت واحد: لن نأكل لحمها. وضممت صوتى الى اصواتهم وقلت ولا أنا، وهنا تساءلت زوجتى: ماذا نفعل اذن؟

نهديها لمن يرغب فى تربية الأرانب وانتاجها، وفعلا تم الاتفاق علي ان تأخذها جارتنا الطيبة (أم حمدى) ليضموها الى مزرعة الدواجن عندهم، وبقى الصغار يواصلون نموهم المستمر.. ولازالت علاقة الأولاد بهم فى نمو مستمر. وهم يمانعون فى ذبحهم بقوة. وكان لموقفهم هذا اثر كبير. فقد ضعفت ارادة زوجتى

امام رغبتهم. بل انها اصبحت غير جادة فى الاقدام على ذبح أى منهم. وكنت أراها بين وقت وأخر. تقدم لهم الغذاء وتداعبهم فى سعادة كبيرة وهى منشرحة الصدر مثلها مثل الأولاد تماما. لكن المشكلة اخذت تتفاقم دون ان ندرى.. فلم ننتبه الى ان هذه الأرانب فيها الذكور وفيها الإناث. وبعد اسابيع قليلة فوجئنا بهذه الحقيقة حين اكتشفنا أن منهم ثلاث أرانب حوامل. ووجدنا أنفسنا فى ورطة!! فضحكنا من هذه المفارقة الغريبة التى كشفت عن غفلتنا.. إنها ورطة شديدة بلاشك. فكيف نواجه هذه الحالة من زيادة النسل في ظل أزمة الاسكان الخانقة التى نعيشها؟ فلو اننا انتظرنا عدة أسابيع أخرى لتضاعف عددهم عدة مرات، وتحولت المشكلة الى كارثة. ومن ثم كان لابد من التحرك السريع لمواجهة الامر.

وفى غيبة الأولاد اتفقنا انا وزوجتى على ان نرسل الأرانب الحوامل الى مزرعة جارتنا الطيبة، ولن نخسر شيئا فالست " أم حمدى " كريمة جدا. وهى ترد لنا الهدية بأحسن منها، أما الأرانب الأخرى فيتم ذبحها ايضا بعيدا عن عيون الأولاد حتى اذا عادوا من مدارسهم وجدوا كل شىء قد تم وانتهى.

واخذت زوجتى بهذه النصيحة. ولم يشهد احد منا عملية الذبح الأولى التى راح ضحيتها زوج من هذه الحيوانات الأليفة. وكانت النتيجة وجبة من اللحم الشهى. لكن فى المرة الثانية عدت مبكرا فوجدت زوجتى الجميلة تضم اطراف الأرانب الأربعة واحدا بعد الآخروتضعها تحت قدمها ثم تشد رأسه الى أعلى وتنزل على رقبته بسكين حادة، ثم تسلخه فى لحظات فوقفت مشدوها امام هذا المشهد العجيب. ان

زوجتى تتناول الامر بحنكة جزار خبير متمرس ثابت الأعصاب. وانا زوجها لم أجرؤ فى حياتى على ذبح فرخة ... رغم اننى من أبناء الريف. صرت اتأمل الأمر من عدة وجوه. ان زوجتى جميلة رقيقة جدا ومطيعة أيضا.. فكيف تجرؤ على ذلك بقلب صلب؟! وظللت أياما طويلة اتذكر هذا المشهد بل ان منظر الأرنب وهو يرتعش فى يدها ظل يطوف بمنامى من وقت الى آخر حتى كان هذا الصباح. حين فتحت عينى على الجريدة اليومية لأقرأ هذا العنوان " زوجة بالهرم تذبح زوجها بالساطور وتسلخ جلده. " و " زوجة آخرى تقتل زوجها وتشفى لحمه من العظم. "

وصدمتنى هذه الأخبار صدمة شديدة. لكننى مالبثت ان تنفست الصعداء. وحمدت الله على رحمته. ان زوجتى لازالت جميلة ورقيقة ووديعة ولم تذبح سوى الأرانب.

9- حلم صينى

هذه قصة شعبية من الأدب الصينى، لا يعرف لها مؤلف. وقد نقلها الى الإنجليزية المستشرق آرثر ويلى (1889- 1966) وقد عاش فى الصين واليابان سنوات طويلة، وترجم العديد من الأعمال الفكرية والأدبية الصينية. ولعل أهمها أعمال كونفوشيوس.

وقصة " حلم صينى " تحفل بالسحر والمتعة. فهى تدور حول موظف بيروقراطى لديه إحساس زائد بالأهمية، وقد رأى حلما مزعجا. وحاول أصدقاؤه ان يسخروا منه، فتظاهروا بأن ما رآه فى الحلم قد حدث فعلا. هذا هو مضمون القصة لكن المتعة الحقيقة نجدها فى قراءة التفاصيل.

حدث ذلك في عام 759 للميلاد، حين ألم مرض الحمى بالموظف شيوى، وأخذ يئن من الحمى أياما عديدة. كان يقضى الليالى والأيام مؤرقا، يتقلب فى فراشه محموما دون أن ينعم بأى قدر من الراحة أو النوم ... وظل على هذه الحال وقتا طويلا حتى أدركه الإعياء ذات ليلة فراح فى نوم عميق، وبينما هو غارق فى نومه، طاف به حلم مزعج إذ رأى فيما يرى النائم أنه يخاطب نفسه قائلا " لماذا أرقد هنا فى هذا الفراش المحموم؟" ونسى المسكين أنه يعانى من نوبة الحمى فأردف يقول: " من الأفضل لى أن أخرج من هذا المكان لأتمشى فى الهواء الطلق" ثم التقط عكازه الذى أعتاد أن يتوكأ عليه، وأخذ يسير على شاطىء النهر.

استمر فى سيره حتى وصل الى بحيرة عميقة صافية حيث وقف هناك يراقب حركة الماء والأسماك، وتمنى لو ينعش نفسه بحمام فى الماء البارد. لقد كان مغرما بالسباحة فى صباه ... لكنه لم يمارس هذه الرياضة الجميلة

منذ سنوات طويلة، وحين رأى الآسماك تجرى حرة طليقة فى الماء أحس بالندم وقال لنفسه: " ويحنا نحن البشر! إذ لا نستطيع العوم كالأسماك. ليتنى كنت سمكة ... ليتنى أحصل على وظيفة سمكة ... ولو لفترة مؤقته. حتى أتقن فن العوم " وفى الحال ناداه صوت من تحته قائلا:

" ولماذا لا تتقدم بطلب لهذه الوظيفة. ان الحصول عليها ليس بالأمرالعسير، حتى لو طلبت وظيفة دائمة ... ان وظيفة مؤقتة من السهل تدبيرها. وسوف أفعل هذا من أجلك " وفى الحال ظهر أمامه عملاق كبير عليه رأس سمكة وأخذ يقرأ عليه البيان الأتى:

" جرت العادة عموما أن تعيش الأسماك تحت الماء، ويعيش الناس فوق اليابسة، وحيث أن الموظف شيوى قد تقدم بطلب وظيفة للعمل معنا كسمكة، فقد قررنا نحن "إله النهر" الموافقة على طلبه وتعيينه باسم" الشبارة الحمراء المؤقته " ورأينا فى الوقت ذاته أن نحذره تحذيرا لابد منه لكل قادم جديد: اياك والطعم المعلق بسنارة! ... احذر أن تمسك به".

أنصت شيوى الى هذه الكلمات باهتمام كبير، ثم نظر الى نفسه، فرأى أنه قد تحول فعلا الى سمكة. قام شيوى برحلات عديدة فى عرض الماء، وكان سعيدا جدا بوظيفته الجديدة الا أن سعادته لم تدم طويلا، وسرعان ما تبدل الحال وأخذ يعانى من نوبات الجوع والهزال حتى جاء عليه يوم لم يجد فيه شيئا يأكله. وفجأة رأى قارب صيد يقترب منه، فأخذ يسير خلفه أملا فى أن يلتقط بعض فتات الخبز المتساقط من يد الصياد دون جدوى. لكنه حين اقترب من القارب رأى أن الصياد هو شوكان الذى يعرفه جيدا. وحينئذ قال لنفسه:

" لقد حصلت على وظيفة مؤقتة فى عالم الأسماك ولم أتخل نهائيا عن وظيفتى كإنسان. ان شوكان لايجرؤ على قتل موظف مثلى. " ثم أقبل على

الطعم وابتلعه. عندئذ جذب شوكان الخيط ورفع شيوى الى حافة القارب ثم وضعه فى القاع وأخفاه بين كومة من الأعشاب المائية.
ويعد قليل جاء الخادم وقال لشوكان " إن رئيس ديوان الموظفين يستعد لإقامة حفل كبير تكريما لبعض أصدقائه ويريد سمكة كبيرة وأجاب شوكان: "ليس عندى سمك أبيعه" لكن الخادم نظر الى القارب فرأى السمكة المغطاة بالأعشاب فمد يده اليها وحاول شيوى عبثا أن يحكى قصته لكننى لازلت موظفا بشرا " والخادم لايبدو عليه أنه يسمع شيئا، ثم حمل السمكة وسار بها الى مقر الحكومة.

وبمجرد ان وصل الخادم ومعه السمكة، استدعى الطباخ وانج الذى أخذ السمكة الى المطبخ وفى يده سكين كبير وصاح شيوى يستعطفه.

" وانج أيها الرجل الطيب. كنت طباخى المفضل منذ جئت الى هنا ... ولم أعرف طباخا سواك. وبالتأكيد أنت لا ترضى قتلى! " الا أن وانج لم يسمع شيئا مما قيل، وأخذ شيوى وأسند رأسه على المنضدة وأوشك أن يهوى بالسكين على رقبته. وحينئذ قفز شيوى مزعورا وهب فجأة من نومه. فوجد أنه قد شفى من الحمى.

وحين جاء الأصدقاء لزيارته، أخذ يحكى لهم ما رآه فى الحلم ... لكن ما زاد من دهشته أنهم قالوا له:

" أن ما رأيته كان حقيقة كاملة ... ولقد رأينا شفتيك تتحركان دون أن تصدر صوتا، ولم يخطر ببالنا قط أن تلك السمكة هى أنت " ومنذ ذلك الحين، لم يعد شيوى ولا أصدقاؤه يأكلون سمك الشبار أبدا.

\

10- **كنعان افندى**

كان ذلك يوم السبت الثانى من العام الدراسى، حين دخلنا فى طابور الصباح. كنت فى آخر الطابور وكان مكانى فى آخر الفصل. ولم أكد اجلس حتى فتحت الدرج ودفنت وجهى فيه. وأخذت أرتب كتبى. فى هذه اللحظات، وقبل أن ارفع رأسى سمعت صوتا يصيح فى لهجة عسكرية: قيام!، ورأيتنى أقف فجأة وأتطلع الى مكان الصوت. وراعنى أن أرى رجلا طويلا تعلو رأسه على حافة السبورة.. يلبس بدلة داكنة. فابتسمت. إذ رأيته يدقق النظر فى وجوه الطلبة ويدور بعينيه فى زوايا الفصل ليرى النائمين على حد قوله.. أو الذين لم يقفوا له. ثم صاح فجأة " جلوس " قيام. جلوس!"

ولم اقف هذه المرة. فأخذ يشير إلى بإصبعه وهو يقول " أنت يا؟ " أما أنا فكنت أتطلع إليه مندهشا دون أن أنبس بكلمة. إذ كانت هذه هى المرة الأولى. التى أسمع فيها مثل هذه النداءات فى داخل الفصل، فأشار إلى مرة أخرى وقال بلهجة شديدة " انت يا ... ياللى على الدفة هناك " أنا؟ " قلتها فى برود مصطنع ثم وقفت. فقال " أيوه أنت إيه مش عاجبك !!"

هو إيه اللى مش عاجبنى؟ " قلتها وأنا أكتم ضحكه. فقال لم تقف مثل أخوانك؟" فصمت قليلا أفكرفى شىء يلطف جو الحديث الذى كاد يتحرج بينى وبينه. وفجأة قلت - أصل يا أفندى كنت تعبان شوية. لسة أول السنة. ونسينا التمرينات كلها مرة واحدة. وهنا أنف جر الطلبة فى ضحكة مدوية. فنظر إلى وفى عينيه غيظ ظاهر. وقال " أترمى مكانك واسكت " فاستأنف الطلبة الضحكة مرة ثانية، فأخذ يدق التربيزة بقوة وهو يقول " أنتم لازم تفهموا أولا. أنا لست من المدرسين الذين يرضون بالفوضى. أنا احب

النظام دائما. ولا أتهاون أبدا فى ذلك. فالنظام عندى أهم من العلم ومن العمل - وهنا قاطعة طالب وسألة فى لهجة تهكم.
- الأستاذ مدرس تربية بدنية؟ " ويبدو أن الأستاذ قد فطن إلى مغزى كلامه فأوقفه قائلا " أنت اسمك ايه؟"
- اسمى محمد سالم " فصاح الطلبه فى لهجة واحدة قائلين - الشهير ببعرة؟ " ثم انفجروا فى الضحك.. فنظر إليهم الأستاذ والشرر يكاد يتطاير من عينيه وهو يقول:
- أنت ياسى بعرة. تترمى وتسكت. واياك أن تتكلم بدون إذن " فعاد التلاميذ يضحكون واغتاظ المدرس أكثر فراح يدق الترابيزة بعنف ويقول " اسكت ياحيوان إنت وهو؟!!" وأخذ وجه الأستاذ يتغير ويصفر لونه. فمال بعرة إلى شماله وهمس فى أذن زميله بصوت مسموع " شوف وشه وحسش ازاى!!" وكان أصبعه يشير إلى وجه المدرس. فالتفت إليه وصرخ فى وجهه." أخرج برة يا كلب." ثم سار بعرة نحو الباب فى بطء شديد وهو ينظر إلى المدرس وعلى وجهه إبتسامة، والمدرس يشير إليه " بسرعة! أخرج. أنت جرثومة فى هذا الفصل" والطلبة ينظرون إلى هذا المنظر ويضحكون فى هدوء حتى إذا ما خرج بعرة وأغلق الباب خلفه عاد المدرس إلى هدوئه ثم واصل كلامه " أنا أعرف كيف أؤدبه." ثم بدأ الصمت يسود الفصل ومرت على ذلك لحظات طويلة هدأت فيها نفس الأستاذ تماما حتى زالت علامات الثورة من على وجهه. ولما أطمأنت نفسى إلى ذلك سألته بلهجة هادئة تنم عن الأدب - البيه طبعا مدرس تاريخ؟ " وهنا أخذ يجيبنى "" أنا متخصص فى الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع ولكن زيادة على ذلك هدرسكم مجتمع مصرى " ونطق كلمة " فلسفة وعلم نفس " فى لهجة شديدة سريعة كادت تثيرموجة أخرى من الضحك، لولا أن الطلبة أستطاعوا أن يكتموا أنفاسهم. وان بدا الإبتسام ظاهرا على وجوههم. ومع ذلك لم يتركوا هذا الكلام يمر دون تعليق فقال أحدهم " وإيه المجتمع المصرى ده؟" فقال المدرس" دى مادة جديدة ومن حسن حظكم قررت الوزارة تدريسكم هذه المادة، لأنها مفيدة جدا بالنسبة لكم. فهى تعلم الطالب

الشعوربالمسئولية وتساعده على تكوين شخصية قوية ممتازة " وصمت قليلا ثم راح يواصل حديثه وهو يطرق التربيزة بيده " وأهم من كل هذا إنها تعلمكم النظام والأدب " وكان يطبق شفتيه ويضغط على كل حرف من كلمتى" النظام والأدب." وكأنه أراد بذلك أن يعلق على ما حدث من ضحك وتهريج. وعندئذ رن جرس الحصة الأولى فخرج المدرس مسرعا. والطلبة يشيعونه بنظرات الدهشة. دون أن يعرفوا سببا للقيام أو الجلوس.

وعند دراسة الجانب العملى فى المجتمع المصرى، بدأ المدرس يقسم طلبة الفصل الى مجموعات صغيرة. يطلب إلى كل منها الحصول على معلومات عن أى وجه من وجوه النشاط التى تختارهذه المجموعة دراسته فى البيئة المحلية. وجاء دور الطالب الذى يجلس إلى جانبى. فأشار إليه كنعان أفندى بأصبعه الطويل وقال وأنت يا سى ناروز. هتعمل إيه؟ " ووقف ناروز على الفور مبتسما. وكانت أى حركة من ناروز كافيه لإثارة موجة من الضحك بين الطلبة" فقد كان معروفا بطرافة النكته وسرعة البديهة وطريقته الخاصة فى الكلام. لذلك اتجهوا إليه كلهم بعيونهم. وما كاد يقول ""أنا سأزور مصانع الحلوى وأجمع معلومات عن صناعة الحلاوة الطحينية والعسلية وهلموجرا".. حتى ابتسم كنعان أفندى. وقال "أنت كلك حلاوة يا ناروز " وانفجر الطلبة ضاحكين وما كاد يعود الهدوء إلى الفصل حتى علق بعرة على الكلام قائلا "ده مصنوع فى كوم الراهب " فإلتفت إليه كنعان أفندى مبتسما وهو يقول" وايه ده المصنوع فى كوم الراهب كمان؟ وأجاب بعرة " يا استاذ دى بلد ناروز أفندى.. وهناك بيصنعوا من الجلة بلوظة. " وعاد الطلبة يضحكون. ولكن ناروز لم يسكت فقال " أصل بعره بيشرب بوظة كل صباح وباين عليه مسطول ".. وعلت القرقعات لحظات أخرى ثم عاد الهدوء: ولكن الابتسام مازال واضحا على وجه كنعان أفندى. كأنما قد أعجبته هذه الأفية إلى حد بعيد فقال " خلينا مع السيد بعرة أيوه ياسى بعره! هتعمل إيه أنت؟ وقبل أن يجيب بعرة صاح ناروز من الخلف وهو يقول " معلومات عن عدد الغرز والحشاشين لأن خبرته كبيرة فى

الناحية دى".. " ووقف فايق زميل بعرة يؤيد ناروز ويقول " أيوه سى بعرة ينفع فى الشغلة دى وهنا قفز بعرة واقفا وراح يشير على زميله بالجلوس وهو يقول " طب أقعد حتى أنت يا عماوى يا فيس " وكانت قامة بعره قصيرة جدا بالنسبة لزميله فايق فبدأ منظره مضحطا جدا. وهو يشير من يده. إذ بدا برأسه الكبير المفرطح وكأنه معلق فى يد زميله. فنظر كنعان أفندى إليه وهو يهز رأسه ويقول "
" كبعرة فى إست كبش معلقة وهذا الكبش يمشى " وأعجب الطلبة هذا البيت من الشعر فراحوا يضحكون. إذ إطمأنت نفوسهم إلى أن الأستاذ لن يثور. فعلت فرقعاتهم. وضحك الأستاذ حتى رن جرس الحصة فخرج وهو يضحك.

وبدأنا فى دراسة علم النفس. وكان أول فصل هو مشكلة الشخصية. وهنا راح الأستاذ كنعان يلتمس الأمثلة من عالم الواقع ليدعم بها شرحه لهذه النظريات. حتى بدأ تدريس الميول والهوايات والأهواء والأمزجة. وما يتبع ذلك من صلة العقل بالجسم. وعند هذه النقطة. وقف الأستاذ وأخذ يمط عنقه الطويل ويقول " الأن تعرفون السبب الذى من أجله بأطلب اليكم فى أول كل حصة القيام والجلوس مرات عديدة.. ذلك لأنى حريص جدا على فائدتكم. وهذه ناحية نفسية هامة فالجسم الخامل يؤثر على العقل ويعطل تفكيره وعند تنشيط جسمك ببعض الحركات. يبدأ العقل نشاطه من جديد "

وهنا وفى هذه اللحظة فقط عرفنا سبب القيام والجلوس. وكان هذا كشفا عن جانب من شخصية كنعان أفندى التى لا تقل تعقيدا عن أضعف فرد من تلامذته - ولكن الأستاذ كنعان كان يحاول دائما فى كل درس أن يضرب مثل هذه الأمثلة ويحاول كما يقول تطبيق العلم على الواقع " وبهذا كشف لنا الكثير من أسرار شخصيته وتصرفاته. فقد كان من عادته أن يمر على الطلبة فى طابور الصباح أثناء تأدية النشيد الوطنى وكان يحرص على تنبيه كل واحد منا بترديد النشيد. وفى أثناء ذلك كان يهدد بعض الطلبة

ويتوعدهم. وكانت هذه الحركات مصدر سخرية وتهكم من الطلبة جميعا. وفى ذات يوم أخذ فى شرح الإيحاء الذاتى والإيحاء الخارجى فقال" لكى تتأكدوا أنى أتبع فى تدريسكم طرقا تربوية حديثة. تقوم على أساس من علم النفس. ولو بحثتم فى كثير من المدراس لما وجدتم مدرسا واحدا مثلى يفهم هذه الطرق! وصمت قليلا" فأنصت الطلبة إليه بأنظارهم وأسماعهم، وكأنهم يسمعونه لأول مرة. فواصل حديثه قائلا. ولذلك ترونني حريص على تنبيه كل منكم بأن يقول نشيد الصباح. لأنك بترديد كلمة مصر. مصر توحى إلى نفسك بحب الوطن حتى يرسخ ذلك فى نفسك. فتشب وأنت وطنى مثالى يشعر بمسئوليته نحو وطنه واهله. " وبهذا المثل تذكر الطلبة فى هذه اللحظات حركات كنعان أفندى فى الصباح. ونظراته التى تهدد وتتوعد. وبدأوا ينظرون بعضهم لبعض. وكأنهم يستعدون لإطلاق ضحكة مدوية ولكن صمت الأستاذ لم يطل. فواصل الشرح حتى انتهت الحصة بسلام.

وكان من عادة الأستاذ كنعان أن يحضر إلى المدرسة عارى الرأس. حتى كان ذلك اليوم ـ حينما دخل الفصل وفوق رأسه قبعة سوداء، من ذلك النوع الذى يلبسه العمال وسائقو السيارات وراح يكتب ملخص الدرس على السبورة، بينما أخذ الطلبة يتطلعون الى هذه القبعة. وينظرون بعضهم إلى بعضهم وكأنهم يتساءلون عما قد أصاب الأستاذ فى عقله. ولما انتهى من الكتابة، أدار أليهم وجهه، واعتدل فى قامته. ثم رفع وجهه إلى أعلى وراح يسرح ببصره كانما يتأمل شيئا فى سقف الحجرة. أو كأنما اصابته نوبة تأمل أو تجلى من تلك التى تصيب الفلاسفة والمتصوفين. ولست أدرى أكانت هذه عادة أصيلة فى كنعان أفندى أم أنه كان يتصنع الذهول والشرود حتى يحسبه الناس فيلسوفا!! ـ على أى حال هذه الحالة لاحظناها عليه مرات عديدة بيد أنه فى هذا اليوم، عندما رجع إلى نفسه فجأة ورأى عيون الطلبة معلقه به، وعلى وجوههم تظهر الجدة والدهشة، ابتسم ابتسامة عريضة وجعل يتنحنح ويقول " آه . آه أنا عارف " ثم ألقى بدفتر التحضير على المنضدة التى أمامه ثم بدأ يشرح الدرس.

بدأ كلامه بما يشبه السؤال فقال " كيف تنتقل العادات والتقاليد والعرف " ثم واصل. أما عن التقاليد فهى تنتقل رأسيا أى من الأب إلى الإبن وهكذا أما العرف فإنه ينتقل أفقيا أى من الجار إلى جيرانه. وأوضح مثل لهذا ما ترونه اليوم منى " ثم رفع يده إلى رأسه وخلع بها القبعة ثم أردف قائلا " أنا أعرف أنكم مندهشون لهذا الأمر، لكن هذه القبعة - فى الحقيقة. مفيدة ولها شكل جميل. وتليق بالشخص المثقف أيضا. وقد انتشر هذا النوع بين الناس. ولما أعجبنى أشتريت هذه القبعة. - وأود أن اراكم غدا وأنتم تلبسون مثلها " وهنا ضحك التلاميذ ضحكة طويلة وضحك معهم المدرس أيضا.

وعندئذ وقفت وبدأت أتكلم بدون إذن " لكن فيه مثل آخر أوضح يا بيه." وتوقف التلاميذ عن الضحك ثم اتجهوا إلى فقلت " سيادتك بدأت تركب عجلة موتور " وهز رأسه ثم قال فى لهجة شديدة" عايز تقول إيه؟. ونظرت إليه وأنا أكتم ضحكة قوية بينما راح التلاميذ يضحكون من جديد وواصلت قائلا " عايز اقول إن العجلة الموتور مثل على انتقال العرف عن طريق أفقى." فصمت قليلا ثم أشار على بالجلوس، وهنا قفز بعره من مكانه وقال.. " وإيه السبب فى إن سيادتك بتمشى بسرعة بطيئة؟ وراح الأستاذ يجيبه فى جدية صارمة " نظام المرور. عشرة كيلو فى الساعة. ولازم احنا المثقفين نكون مثل يحتذى فى اطاعة القوانين." فقاطعة طالب أخر قائلا " لكن قوانين المرور عشرين كيلو فى الساعة " وهنا دق على المنضده بيده وقال " بس كفى ده موضوع خارج عن الدرس. سكون!! " وبعد أن أكمل الشرح طلب إليهم جمع الكراريس لتصحيحيها. وهنا بدأ صوت التلاميذ يرتفع فراح يدق على المنضدة من جديد ويقول " فى هدوء. فى هدوء" لكن الصوت زاد علوه فصرخ الأستاذ كنعان " النظام. الهدوء يا حيوان أنت وهو " ثم حمل كومة الكراريس تحت أبطه وخرج من الفصل والطلبة ينظرون خلفه ويبتسمون.

وحدث مرة أن دخلت فى فصل ثالثة أدبى، وجلست إلى جانب صديقى فى مؤخرة الفصل.، وبعد قليل دلف الأستاذ كنعان مسرعا من الباب. وأخذ يكتب كعادته ملخص الدرس على السبورة. وبدت على حركاته الجدية والاهتمام أكثر من أى وقت مضى، وأن كان دائما بادى الجدية والاهتمام، إلا أن هذه المرة كانت ملفته لنظر التلاميذ كلهم. فجعلوا يتطلعون إليه فى دهشة ويتذكرون نوادر كنعان أفندى العديدة، ويبتسمون بعضهم لبعض فى تساؤل عن سر إنهماكه الشديد فى الكتابة. وما إن أنهى الكتابة حتى استدار نحوهم، وبدأ ينفض يديه من الطباشير، ويحملق فى وجوههم دون أن يتكلم، ويبدوأن شيئا ما كان يشغل فكره! فلم يرانى على غير عادته حين كان يدخل الفصل ويفرز الطلبة واحدا واحدا، بل أحيانا كان بعدهم فى بدايه الحصة. ولما أخذ فى شرح الدرس - دون أن يحس بوجودى حمدت الله - ولم تكد تمضى لحظات حتى دخل المفتش، وأخذ يناقش التلاميذ أما الأستاذ كنعان فكان يقف، مطبقا شفتيه، وعينيه مفتوحتان، وقامته تميل إلى اليسار والى اليمين تباعا، حسب الجهة التى تخرج منها الإجابة. وكان وجه الأستاذ يتلون فى أثناء هذه المدة حسب نوع الإجابة التى يقولها تلاميذه للمفتش. فتارة يشرق بالبشر، وتارة تتقلص عضلاته امتعاضا من غفلة التلميذ، وبلادة ذهنه. وطالت المناقشة على هذا الحال إلى ما يقرب من نصف ساعة طالما أشتدت فيها أعصاب الأستاذ، وطالما ارتخت. حتى بدأ الإرهاق عليه، وزاد ذلك وضوحا ما عرفناه عنه من شدة الاعتداد بنفسه. والفخر على غيره من أساتذة الفلسفة، وفى هذه اللحظة شعر المفتش بطول المناقشة وضياع الوقت فى موقف مائع دون أن يتمكن من أخذ فكرة صحيحة عن مستوى التلاميذ، فصمت برهة ثم قال " اسمعوا يا أولادى. يظهر أن المناقشة طالت. وعلشان نختصر الموضوع سأوجة لكم سؤالا واحدا. وإذا أجبتم عليه سأترككم " فأنصت الطلبة إليه بإهتمام شديد وهو يقول " نقد أرسطو نظرية أستاذه ولكنه لم يأت بجديد! وبدت الإجابة على هذا السؤال مستحيلة فى بادىء الأمر. فلم يتحرك أى طالب.. فأعاد المفتش سؤاله مرة أخرى، وبدأ ينظر إلى التلاميذ وهنا قفز طالب من الوسط وراح يقول .

أستاذ أرسطو هو أفلاطون. ونظريته هى المثل وما قاله افلاطون من أن النفس هبطت من عالم المثل إلى الأرض، واتخذت لها جسدا تعيش فيه، ثم انقطعت الصلة بينها وبين هذا العالم العلوى، أما أرسطو فقال ان الشىء يتكون من جزءين - الهيولى والصورة.، وباندماج كل منهما مع الآخر يتكون الشىء، وبغير ذلك لا يكون الشىء.. وبمقارنة القوانين يظهر لنا جليا أن أرسطو لم يأت بجديد." وعند هذا الحد نظر المفتش إلى هذا الطالب نظرة أعجاب ثم التفت إلى كنعان أفندى وقال " حقا إن الفيلسوف لا ينتج إلا فيلسوفا "وكان ذلك عبارة عن ترجمة لما يكنه حضرة المفتش من تقدير واعجاب بعبقرية الأستاذ كنعان ـ فأشرق وجهه فرحا وبدأ يروح ويغدو فى خيلاء الطاووس، حتى إذا ما خرج المفتش عاد الأستاذ يؤكد أهميته لطلبته وهو يقول " فاهمين المفتش قال إيه ..؟! لأنه يعرفنى جيدا. وما كان ليقول غير هذا وأنا قلت لكم مرارا عديدة من قبل إنكم محظوظون. غيركم فى المدارس الأخرى مش فاهمين شي، لأن المدرسين انفسهم لا يفهمون الفلسفة! والتلاميذ ينصتون إليه ويتظاهرون بالاهتمام، وفى صدر كل منهم ضحكة مكتومة، حتى عند خروج الأستاذ، فإذا هم يهمون بالوقوف وينفجرون ضاحكين وهم يشيعونه عند الباب.

وقرب نهاية العام، وقت كتابة استمارات الشهادة الثانوية.، حضر الأستاذ كنعان ووزع الاستمارات على التلاميذ لكتابة البيانات المطلوبة. وكان لدقته وجديته المعهودة تسند إليه مثل هذه الأعمال الرسمية وله فى ذلك قول مأثور عن نفسه سمعناه منه عندما أختيرأمينا لصندوق جمعية أولياء الطلبة ". لا تخافوا بأ أبنائى فإن أموالكم ستوضع فى يد أمينه " وكان كنعان أفندى أمينا حتى فى الشكليات الرسمية. إذ يتراءى فى هذه الأحوال وكأنه قد الغى عقله كلية إذ كان يقول عادة لمن ينافشه فى شىء يتعلق بهذه الأمور" كده وبس ذى ما هى!" وبعد أن بدأ الطلبة فى ملأ استماراتهم وجاء الدور على خانة نوع الدراسة التى يريدها كل منهم بعد المرحلة الثانوية. راح الأستاذ يسأل كل منهم ليتعرف على رغباتهم وذلك حرصا

منه على معرفة الطلبة الذين يرغبون فى دراسة الفلسفة حتى إذا قال له أحدهم " سأدخل كلية الحقوق " نظر إليه الأستاذ نظرة اشفاق وهو يبتسم ويقول " بس الحقوق." وصمت قليلا فألح عليه الطالب قائلا " بس إيه يا أفندى " واتسعت ابتسامة الأستاذ وهو يقول " بس الحقوق دى تضييع وقت " يا بنى وهنا انفجر التلاميذ فى ضحكة عالية. أحدثت فرقعة أثارت أعصابه فوقف فى مقدمتهم وصاح " الهدوء. الهدوء، والنظام يا حيوان أنت وهو " وكانت أخر كلمة قالها وهو يجمع الاستمارارت " النظام يا كلاب. النظام" حتى إذا أخذ يتسلم استمارتى نظر إلى وهو يقول " أحب ألا تحرمنا من أنسك" وكانت هذه تعنى اعادة السنة، فاستدرت نحو الباب خارجا وأنا اقول" لا أرانى الله مكروها بعد اليوم "

11- قطرات من الدم

النيل الأسمر الساحر، الذى يربط ماضينا بحاضرنا، ويقوى اواصر الأخوة والألفة بين شعبنا وشعوب قارة افريقيا طوال آلاف السنين – هذا النهر الخالد الحبيب له مع قريتنا الصغيرة قصة فهو منبع حياتنا ومصدر فخرنا ولكنه لا يسير دائما على وتيرة واحدة، فأحيانا تعتريه حدة المزاج فيثور ويغضب ويتحول الى طوفان يكتسح فى طريقه كل شىء. ونصبح فى قبضته ضحايا.

وقد ألفنا الحياة على شاطئه زمنا طويلا، حتى بتنا نرى فى غضبه وعنفوانه ثورة للتجديد والتقدم، واعلانا عن حاجتنا الى التغيير. وقد عشت مع ابناء جيلى دورتين هامتين للفيضان بلغ فيهما قمة عنفوانه وتمرده. ثار عام 1946، ثورة جامحة فاكتسح الجسور وأغرق الزرع وأوشك ان يكتسح البيوت فى طريقه، لكنه لم يقوى عليها لأن استماتة الناس وصلابتهم فى حمايتها واقامة الجسور ليلا ونهارا. استماتة وصلابة لم تفترقان لحظة واحدة فى ظل التهديد المستمر قرابة شهرين من الزمان. وثار مرة ثانية عام 1954، كانت ثورة عاتية جامحة لم تصمد لها محاولات الناس فى صد غطرسته فاندفع يقضى على كل شىء. اهلك الزرع واكتسح البيوت وتركنا بلا زاد أو مأوى.

اعتاد الناس فى قريتنا منذ زمن بعيد على هذا النوع من الحياة. ففى كل عام يأتى الصيف، ويأتى معه الفيضان لا يخلف موعده إلا نادرا فى بعض سنوات الجفاف. وهذه ليست سنوات راحة أو أمل ففيها يجف الزرع

وتتناقص المحاصيل فتزيد المتاعب والآلام، ويبدأ شبح المجاعة يساور الناس. ومن هنا كانت دعواتنا وصلواتنا أن يرسل الله الفيضان فى ميعاده كل عام.

ربضت قريتنا على ضفة النيل منذ عهد الجدود ولا أدرى فى عهد أى جد منهم ظهرت. لكن أبى نشأ هنا فى هذا المكان، ونشات أنا أيضا وجميع أخوتى لأجد بيتنا هنا وبيوت أعمامى وجيراننا. وعندما كبرت وبدأت أدرك أمور الحياة سمعت صرخات الإستغاثة، وقد نبهت حواسى لمخاوف الخطر، فكنت أحسب أنذاك حسابه، وكثيرا ما تصورت نفسى غارقا فى أعماق النيل الثائر المزمجر، وأنا اتلمس السبيل إلى النجاة. وقد كبر هذا التصور فى رأسى، فرحت أداعب النيل فى أوقات هدوئه وصفائه وبين أحضانه تعلمت العوم.

ومرت الأعوام ومازلت أكبرحتى تخرجت من الجامعة سنة 1960 وعينت مدرسا في مدرسة بيلا بكفر الشيخ ولازالت صورة الخراب الذى خلفه فيضان 1954 ماثلة فى ذهنى. فلم يكد يمر سوى أسبوعين فى شهرأغسطس فى أوائل السنيات من القرن الماضى، وقبل اكتمال السد العالى حتى ارتفعت الأصوات تنبه الى خطورة الفيضان، ويوما بعد يوم بدأ الكفاح هادئا. بدأ بعض الرجال من أصحاب االمزارع المعرضة للضرر. أي المزارعين الذين تهمهم المصلحة المباشرة، كل من عنده مزرعة على النيل راح يقف فوقها ليقيم حاجزا بينها وبين الماء وهو يباشرها يوما بعد يوم، يرفع ويقوى فى هذا الحاجز كلما ارتفع مستوى المياه فى النيل، لكن هذه المجهودات الفردية لا يمكن أن تصمد أمام فوراته المفاجئة وهجومه الذى يشتد عنفا فى بعض الأحيان فيطغى على كل مقاومة، وكان لزاما على أهل القرية ان يجتمعوا ويتشاورا ويجمعوا أمرهم على مقاومة الفيضان واقامة الجسوركما اعنادوا في مثل هذه الأوقات، وقد أفادتهم هذه الطريقة على مدى عشرات السنين حتى كان عام 1954،إذ كان الفيضان أسبق فى

توجيه ضرباته فأغرق الزرع كله وطاف بالدور ثم أتى على كل بيت لم يصمد أمامه وتشرد الناس فى العراء يندبون حظهم العاثر الذى جعلهم بلا مأوى. وفى هذه الكوارث يتعذب الفقراء الذين يخرجون وفى أيديهم قبض الريح فيعانون كل أنواع الآلام.
وقد أعادت الأصوات الصارخة المستغيثة هذه الصورة التعيسة الى خيالى فلم أحتمل فأعددت نفسى للمشاركة فى الكفاح بصرف النظر عن أى اعتبار. وبدأت المعركة تشتد فاصبحنا نسمع الصراخ مرة أو مرتين فى اليوم. وقد يأتى ذلك فى الصباح أو المساء أو فى آخر الليل. أو في الظهروفى كل مرة أجرى فيها أنا ومن معى من الأصدقاء الى مكان الخطر. هناك حيث نجد الناس قد بدأوا يقيمون السدود فنأخذ مكانا بجانبهم فى حمل "مقاطف" التراب وقطع الحشائش نقوى بها"اللبشة " حتى تصمد فى وجه الموج. وهكذا نطمئن على قدرة هذا السد على المقاومة فنعود الى ديارنا نستريح فى انتظار استغاثة أخرى ولا يبقى منا سوى الذين يحرسون المكان.

ولكن فى هذه المرة رأيت الناس تتراجع وتتكاسل وسمعت من بعضهم نبرة التسليم بغرق البلد وهم يقولون " البلد انقسمت وما فيش فايدة " أثر كل ذلك فى نفسى وفى نفوس أخوانى الذين يشاركوننى الشعور بالخوف على سلامة الناس وأقواتهم وبيوتهم وخصوصا الفقراء، وكم لعنت الأنانية والجهل وحب التظاهر. فأنا أعلم السبب الذى قسم صفوف الناس وأضعف قوتهم. انها الانتخابات. فيكفى ان يكون فى كل قرية بعض الأغبياء لكى يثيروا فى شعبها التناحروالتنابذ والخصام وقد نقمت على الناس العاديين جهلهم بقيمة الحياة اذ فهموا ان المسألة تشريف وتكريم وسلطة ونفوذ. هذا كل ما عرفوه عن الخدمة العامة سواء عضوية اتحاد قومى أو جمعية تعاونية وهذه عدوى سرت الى نفوسهم من الأغنياء والحكام السابقين. فقد رأوا تكالبهم على المناصب لتكون عونا لنزعة استغلال الناس واستذلالهم. هذه هى العدوى التى سرت الى أخى الأكبر فانصرف عن الركب وأخذ

ينفض يديه من مشاكل أهله وأهل جيرته. رغم أنه مازال يتولى منصبا إدريا فى القرية، هو منصب شيخ القرية.

حزت الصورة فى نفسى كما حزت فى نفوس الكثيرين من أمثالى. ومن بين هؤلاء الشبان من كنت أختلف معهم فى طريقة قضاء وقت الفراغ فلا أذهب كثيرا إلى مجالسهم غير أننى غيرت رأى الآن وأخذت أحرص على قضاء الوقت معهم. فانضممت اليهم ليلا أشاركهم لعب الطاولة حتى إذا جدت ساعة الجد دعوتهم الى العمل، وهى فرصة نتكلم فيها عن أهمية التكاتف والتعاون فى هذه الفترة الحرجة، وحجتى هى أن الخسارة ستعم الجميع. وكم أدهشتنى الحقيقة فقد وجدت فى نفوس معظمهم غيرة انتقل تأثيرها الى كل من رأنا نحمل على أكتافنا كتل الطين وحزم الحطب فاخذته الحمية فانضم الى صفوفنا. وقد ملأنا ذلك ايمانا بالنصر ودعانا الى الاحتفاظ بحماسنا للعمل خصوصا ونحن مازلنا نتوقع زيادة الخطورة.

ان كل يوم يعنى بالنسبة لنا معركة جديدة أكثر عنفا وأشد خطورة من سابقتها، هكذا حتى كان ذلك المساء الهادىء اذ تصورنا بعد جهاد النهار أنه مادامت الريح قد هدأت فإن الموج ساكن ولا خطورة فى ذلك. فعاد كل منا الى منزله لتناول عشاءه ولم يكد يوضع أمامى الأكل حتى سمعت صوت الاستغاثة – فقفزت أعدوا. وأنا اقطع الطريق مسرعا رغم الظلام الذى كان يفرش أستاره على دروب القرية وطرقاتها، كنت مدفوعا بقوة غريبة جعلتنى لا أخشى المرض الذى كان يصيبنى من جراء أى تعب. دفعنى فى الطريق لا أدرى ولا أحس بما يمكن أن يصدم قدمى من أحطاب القطن أو جذور الذرة المغروسة فى الأرض وأنا أجرى بأقدامى حافيا بعد أن أمسكت حذائى فى يدى وأخذت أقفز فوق القنوات والسدود حتى وصلت الى " القطع " وكانت نقطة خطيرة عرضت جهودنا كلها للضياع. فالجسرالذى يحجزمياه النيل يوجد خلفه مصرف مياه فلا يجد ما يسنده من الخلف. وقد

جعله هذا ينقلب فجأة وأخذ الماء يتدفق بقوة ليقطع على الناس سبيل الحركة وأمام هذا المنظر لا يمكن للإنسان إلا ان يكون فدائيا يلقى بقوته مرة واحدة للعمل. وأخذ كل واحد مكانه – البعض يحمل التراب والبعض الآخر يقلع الحطب وكثيرون يلقون بانفسهم فى فم القطع ليمنعوا تدفق المياه الى أن يتم اقامة سد، وفى وقت لا أدرى مقداره أقيم السد واتصل الجسر وتوقفت المياه. والتفت الى الوجوه أتبينها فرأيت وجوها كثيرة جديدة جذبتها الروح التى سرت بين الناس. ولا أنسى منظر الحاج سيد وضخامة جمسه التى تحسده على حمله. لقد جاء يلهث فى الدقائق الأخيرة، وما كاد يقترب منا حتى انزلقت رجله فسقط فى الطين. وقد اثار هذا موجة من الضحك أعقبتها راحة الاطمئنان الذى شمل الجميع.

عدت فى ذلك المساء مبللا يعلو الطين ملابسى وشعرى. ولم أكد أدخل البيت حتى قابلنى أخى الأكبر على الباب فنظر إلى فى حنق وقال:
" ماشاء الله يا حضرة الأستاذ يامدرس الثانوى "
وغاظنى موقف أخى هذا وجموده أمام هذه الحال فرددت عليه بلهجة شديدة
-
كفاية خربتوها أنت وأمثالك!

واندفعت الى داخل المنزل ولكنه تبعنى حتى وقفت فى نهاية باب الصالة الداخلى إذ أخذ ينادى أمى ويقول:
" شوفى الأفندى عامل إيه " وكنت أتوقع ثورة عنيفة من أمى. فهى تخشى على صحتى دائما من تعرضها للتعب والبرد، ولكنها رفعت وجهها الى هذه المرة، وهى تبتسم وكأنها لا تصدق ماترى و تقول " طيب ماله سيبه أنت وابعد عنه " ثم اخذت ترسم في وجهى علامة الصليب وتقول " العين باردة عليك يا حبيبى. آه لو كنت أعرف لضربت زغرودة عالية. أنا فرحانة اللى المرض بعد عنك " ثم واصلت كلامها فى نشوة " يمكن ملايكة البحر يشفوك " وعندما سمعت هذا الكلام شعرت بقوة جديدة تسرى فى كيانى

ورأيت أخى الأوسط يجلس وهو يضحك ويقول "غير ملابسك وتعالى أتعشى" أما أخى الأكبر فوقف يسخر ويقول لأمى "يافرحة الهبلة – بابنها" هو كل الأفندية بيشيلوا الطين زيه. هو ده التعليم اللى خده " وسكت فى انتظار أن أرد عليه وجلست وامامى الطعام وإلتفت إليه قائلا " يجب أن تعرف أن الذى دعائى الى أن أغوص فى الطين هو موقفك المخجل. أأنا لا أتصور أن ينظر الناس حولهم فلايرون أحدا منا فى ظرف حرج مثل هذا. بأى حق تدعى أنك تمثل هؤلاء الناس أو تشارك فى حكمهم؟ أتظن ان العضوية مغنم أو سلطة نزهو بها. اخدموا الناس أولا حتى تثبتوا أحقيتكم بتمثيلهم.

" ورد على قائلا " دول خونة باع كل منهم صوته بعشرة قروش ولا يستحقون الخدمة " قلت على الفورأبدا. لقد فشل الناس فى التمييز بينكم لشدة التشابه فليس بينكم مخلص واحد. ومايدفعكم الى الصراع على هذه المناصب هو الأنانية وحب الظهور. لقد رأى فيك الناس يوما شابا متحمسا مخلصا لهم ولمشاكلهم. ولكن الأيام غيرتك فقد أولوك ثقتهم بأغلبية كبيرة وأخذت بينهم مركز القيادة فلم تقدر ثقتهم ولم تدعوهم ليشتركوا معك فى تدبير الأمور. واندفعت تقدم نفسك لكل مجلس تريد أن تجمع كل شىء فى يدك. هذا السبب الذى جعلهم ينقضون من حولك ويبيعون أصواتهم. ففى كل عائلة واحد يصلح لأن تدعوه لكى يقف معك وبهذا يشعرون أنهم يشاركون فى المسئولية. وبهذا تقوى بهم ويتقون بك فينهزم أعداءك وأعداءهم وتحل المشاكل بهمة الجميع.

وراح يسمع كل هذا الكلام وأنا ألقيه عليه كدرس ألقيه على تلاميذى، وكانت أمى وأخوتى ينصتون فى شغف. وأخيرا هز رأسه وقال فى نبرة حزينة " سيبك من الكلام ده ماعدش ينفع "
ودعانى ذلك الى مواصلة الكلام " ماذا ينفع إذن ياشيخ البلد؟ هل تتصورماذا يحدث لو انهدمت الجسور وتدفقت المياه فى كل جانب. ماذا

يحدث تفتكر " وأجاب فى هدوء " ولا حاجة أن أرضنا داخل جسر الطرادى ولن يغرق لنا زرع "

والبيوت؟
لن يحدث لبيتنا شىء
" وبيت أختك واولادها الصغار
وهنا سكت لأن بيت أختى يوجد فى جانب منخفض ومن المحتم أن المياه سوف تجرفه وتجرف ما يحيط به. لذلك لم يجد شيئا يقوله فصمت قليلا ثم قال " وهل مفروض عليك تشيل الطين بالليسانس بتاعك، مش كفاية الفلاحين."

وشعرت بأننى قد بدأت أنتصر فقلت " إننى أشعر الأن بأن الليسانس قد اصبحت له قيمة عظيمة. إن كل بقعة من الطين أضافت اليه مرتبة من مراتب الشرف. فإننى لا أستطيع أن أتصور حال الناس الفقراء الذين لايجدون قوتهم عندما يقضى الفيضان على زرعهم وحيواناتهم ويشردهم فى العراء. ان الإنسان يتألم لهم الأن فما بالك لو حدث ذلك. وقد رأينا ما حدث فى المرة السابقة حتى بيتنا قد أصابه التصدع.

وهنا تولى أخى الآخر الكلام مؤيدا " والله أصول نقف مع الناس. الشر بيعم والخير بيعم" عندئذ أطمأنت نفسى فتناولت عشائى فى هدوء ولذة.

فى الصباح جاءنى زميل لى ربطت بينى وبينه ظروف الحياة فى أيام الدراسة واللعب. لكنه يعمل فى مكان آخر بعيد عنى وأصبحت الأجازة فرصة ننعم فيها بلذة اللقاء والمشاركة فى مشاكل العمل ومناقشتها، جاءنى فى هذا الصباح يدعونى لزيارة جار لنا مريض ودخلنا إليه فوجدناه جالسا وقبل أن يحكى لنا الرجل ظروف مرضه بدأت صفارات الإنذار ترن فى كل اتجاه فخرجنا فرأينا الناس يجرون فى خوف واضطراب. النساء والأطفال يصرخون فى هلع ورعب. فاندفعنا جريا فى إتجاه الإستغاثة.

وفى دقائق وصلنا. وكان منظرا رهيبا رأيته فى عيون الناس وتصرفاتهم فى تلك اللحظات. رأيت كل واحد منهم يفكر فى نفسه ويجمع ملابسه ليعود الى بيته وقد فقد الأمل.

بدأت المياه فجأة تتدفق فى مساحة كبيرة جعلت الناس يصابون بالذهول حتى وقف كل منهم بضرب كفا بكف. عندما رأيت أنا وزميلى فرج الناس يعودون الى بيوتهم صدمت. ولكنى لم أيأس فدعوت زميلى الى الوقوف فى طريقهم وتوجيهم الى العمل. الكل يقول:
" ما فيش فايدة. فى آخر الجسر قطع كبير. لم نستطع أن نسده " وواتتنى فكرة أو توهم ولابأس فرحت أمسك بهم وأقول " إن هناك من يسدون الجزء الآخر " وهذا نصيبنا نحن وبدأ كل من يقترب منا ينضم إلينا حتى أصبح الناس كتلا متراصة فى وجه المياه وجريت فى لمح البصر الى البلدة لأدعو الآخرين ليحضروا لهم عروق الخشب والبوابات والخيش وحضر ذلك بفضل عزم الرجال الذين استجابوا لدعوتنا، وواصلنا العمل حتى أصبح هذا الجزء يدعو الى الاطمئنان. فانتقلنا لنساعد الآخرين الذين قويت عزيمتهم عندما عرفوا أننا نقيم سدا فى مكاننا.
رأيت الفلاحين الطيبين يندهشون مما نقوم به ويسأل بعضهم " الأفندية مالهم ومال الطين" وكأنهم خلقوا وحدهم لهذا الطين يحملونه الى الأبد. ولكننا واصلنا العمل معهم وعرفناهم أن هذا واجب الجميع فازدادت حماستهم مما جعلنا نبنى سدا يبلغ مائتى مترا بطول القطع فى حوالى ساعتين. وقد أدهشنى أن أجد إثنين من أخوتى بين العاملين فى حماس وقوة وملأنى الفخر. شعرت أننا نجحنا. إن هذه القوة لايمكن أن تهزم مهما زادت المياه. وعندئذ فقط أحسست بالتعب فرفعت رأسى لأستريح فرأيت الدماء تلف أصابعى مختلطة بالطين فعرفت أنه جرح حدث لى وأنا أقتلع الحشائش من وسط الطين دون أن أدرى، وخطوت نحو النيل ومن فوق السد الذى بنيناه مددت يدى وغسلتها. وأنا اقول " حسنا! لقد كان القدماء

يفتدون محاصيلهم بعروس يقدمونها للنيل فدية كل عام فلابأس أن يقدم كل منا قطرات قليلة من الدم. وعاد الجميع الى بيوتهم بسلام.

أما أخى فقد بقى مع آخرين وتعهد بالاشراف على حراسة الجسر حتى تنتهى خطورة الفيضان.

12- الشيخة سعدة

كنت أسير مع صديقى لتوديعه خارج القرية، وبعد أن قطعنا مسافة ليست بقصيرة، وصلنا إلى كوبرى عباس بك. وهناك كان ينبغى أن اودع صديقى وأعود ولكننى لم أفعل، وواصلنا السير حتى مسافة طويلة فى طريق تحف به الأشجار من كل جانب. على يمينى سورجميل، تتدلى من فوقه فروع اللبلاب المتشابكة بأزهارها الزرقاء والحمراء والبيضاء فتنسج حلة مزخرفة جميلة تروق للعين أن تراها. وترتاح لها النفس حين تطمئن إليها. وهذا السور الذى يمتد مسافة كيلو مترا تقريبا يحيط بستانا أروع جمالا وبهاء وتتوسطه فيلا كبيرة هى أية من أيات الفن والجمال المعمارى، استقدم لها عباس بك المهندسين والخبراء من اوربا ووفر لهم كل الأدوات والمواد المطلوبة من أوربا. بناها عباس بك المحامى المشهور فى هذا الموقع الجميل ليستمتع بالهواء النقى، وبالنسمات العطرة التى تتنفسها الأزهار. ولم تكن هذه الأرض ملكا لهذا الرجل عن طريق الوراثة مثلا ولكنها كانت قطعا صغيرة اشتراها من أصحابها الفلاحين البسطاء الذين يغريهم المال أحيانا وتجبرهم الحاجة فى أغلب الأحيان. هذه المساحة التى يقوم حولها السور تبلغ عشرة فدادين كان يزرعها أكثر من ثلاثين فلاحا. وبعد أن اشتراها حضرة البك بدأت تظهر نواياه الحقيقية حينما أخذ يغرس الأشجار ويخطط أحواض الزهور. وهنا بدأ يحز فى نفوسهم الندم والألم على الأرض التى باعوها. لقد كانت قراريط قليلة تملكها كل أسرة منهم، ولكنها كانت تدر عليهم خيرا *دائما طول العام من زراعة الخضروات الموسمية. أما الان بعد أن خدعهم البك* واستولى على الأرض تحت وهم أنه يريد أن يبنى مصنعا لتشغيل شباب القرية ومدرسة اعدادية لتعليم أولادهم. والآن قد ضاعت الأرض وفقدوا

أهم مصدر لرزقهم. وضاعت النقود التى أخذوها كأى مبلغ كان يأتى من صندوقين طماطم أوبامية. وهكذا بدأت الآهات تخرج من الأفواه.

لكن ماذا ينفع الندم بعد العدم. لقد خدعهم هذا الرجل بفكرة إقامة مصنع لتشغيلهم والآن ماذا يفعلون؟ لقد دخل بكل إمكانياته لزيادة مشكلة البطالة بين أبناء هذه القرية. فهو يملك ثلاثمائة فدان ضمن زمام القرية الذى لايزيد على خمسمائة فدان. أى أنه يملك أكثر من نصف أملاك البلدة والجزء الباقى موزع على عدد قليل من الأفراد يسمون أعيان البلد وهناك أكثر من ألف شخص لايملكون شيئا ذا قيمة.. وهكذا استطاع البك ان يتحكم فى مصائرهم، لا أحد يستطيع الوقوف أمام سلطانه، أومطالبته ببناء المصنع، فأخوه يتولى منصب العمدة وأخوه الثانى شيخ البلد، والمأمور والمدير وغيره من الحكام أصدقاء له.

وتتفاقم مشكلة البطالة بمرور الوقت لأن البيه يزرع أرضه لحسابه يحرثها بالجرارات ويرويها بالماكينات والفلاحون من حوله يجلسون على الجسور فى انتظارمن يدعوهم للعمل، وهذا يجعل المشرفين على أراضى البك يستغلون حاجتهم ويعطونهم أقل أجر. الأدهى أن البك أخذ يتوسع فى الأرض المحيطة بالقرية فزرع حديقة للفاكهة وهو فى غيرحاجة إليها، وظهر أن الدافع الحقيقى أن الحكومة كانت تفكر فى الاستيلاء على هذه البقعة لتقيم فيها وحدة صحية ومدرسة لخدمة هؤلاء الفقراء، فتدخل هذا الرجل مرة أخرى ليبعد الرحمة عن هؤلاء المساكين وكأن له معهم ثأر قديم. وبمكر الثعالب استطاع أن يؤجل مشروع الحكومة بحجة أنه يبحث لها عن مكان آخر حتى تمكن من بناء السور

وبنى إلى جانبه هذا المسجد الجميل لكى يدفن فى ضريحه بعد موته ويكتب على واجهته إسم عباس بك.

وبهذا يزيد من شهرته ويضمن لاسمه الخلود، هكذا ظن عباس بك وهكذا يظن أمثاله ممن أغراهم حب الدنيا والشهوات. وكأنه اراد لكل من يمرعلى هذا المكان أن يزفر زفرة المغلوب أوشهقة المطعون. أو كأنه ينتقم من هؤلاء المعدمين لأنه كما يقولون لايرحم ولا يريد لرحمة ربنا أن تصل إليهم. فهذه الأسوار العالية منعت إقامة وحدة علاجية ومدرسة. منعت عنهم الصحة وتركتهم للمرض وللبلهارسيا تفتك بهم، فكيف لايكرهونها. هذا السور لايقل إجراما ولا اقترافا للذنب من سجن الباستيل وسجن بطرسبرج.

فى نهاية السور ودعت صديقى وقفلت راجعا. وفى طريق العودة وجدت الشيخة سعدة كما يسمونها، واقفة فى مواجهة السور تمسك ببعض الحصى وتقذفها واحدة بعد الأخرى، فوقفت أتأملها فى زيها الأبيض وطرحتها البيضاء التى اعتادت أن ترتديها دائما. والشيخة سعدة تنتمى إلى بيت من البيوت الكريمة الذين يتبارك الناس بزيارتهم. وهم ناس طيبون محبون للخير يسالمون الناس جميعا ونحن نحبهم وكنا نستقبلهم بالترحاب حين يمرون من أمام بيتنا، وكان لى صديق ينتمى إلى هذا البيت هوصلاح، زميلى فى المدرسة الإبتدائية وقد دامت صداقتنا حتى توفاه الله. ونتيجة لحسن أخلاقه وهدوء طبعه أطلقنا عليه لقب الشيخ صلاح. وكانت الشيخة سعدة تمر ببيتنا وتجلس معنا احيانا كثيرة وكنا نسمعها تتكلم كلاما كثيرا وبسرعة كبيرة وأحيانا تقول كلاما غير مفهوم. ولكن الذى كان يضحكنا منها هو ماتقوله فى مواجهتنا " محمد

ومحمود يروحوا الجنة الاتنين لوكانوا فى المعاصى، أما حنا وحنين هيروحوا النار" وكنا نضحك معها ونقول قولى تانى ياشيخة سعدة. فلما رأيتها واقفة تلقى بالحصى على قصرعباس بك وتبرطم بالكلمات وقفت أنصت إليها فسمعتها تقول:

فلاحين فلاحين. تجار وبياعين

عمد ومشايخ. وكلهم عاملين

عساكر وحرامية.

وهنا تقدمت إليها وسألتها ماذا تقولين ياشيخة سعدة، فأشارت إلى المبنى الجميل" هناك هناك فى داخل القصر العظيم امرأتان وحوض من الزجاج تلعب فيه الأسماك وحاجات جميلة وزخارف وألوان.. أشياء جميلة جميلة ... إنها الجنة." كانت تتكلم بسرعة عجيبة وتعيد الكلمة اكثرمن مرة وكأنها تؤكد ماتقول: ثم عادت تشير وتتكلم " هناك هناك جنة جنة وفيها امرأتان والبيه والخدامين. الدنيا كلها هناك. مسكين عباس بيه " ودهشت لكلامها رجل يملك الجنة فكيف يكون مسكينا. سألت بصوت عالى لعلها تسمعنى، إزاى ياشيخة سعدة؟ وعادت تشيرالى القصر بنفس الطريقة وتقول " هناك فى داخل الجنة العظيمة يعيش عباس بيه ومعه أمرأتان ...ثلاثة فى الجنة ومافيش أطفال " وهنا فهمت مقصدها وهو أن عباس بك لم ينجب أطفالا، فعدت الى بيتى وتركت الفلاحين الذين تجمعوا حولها يضحكون من كلامها ويقولون"مسكينة ياشيخة سعدة ".

13- ذات الرداء الأخضر

مع ذلك فانى أدعو أولادى الأحباء لقرائة هذه القصة جيدا والحفاظ عليها ... تأملوها جيدا كيف احتمل أبوكم كل هذه الآلام وعاش تلك الأيام في كفاحه مع الجهل والفقر والمرض. أما أحلام الحب فكانت ومضات عابرة تخفف مثل المسكنات بعض ألام الغربة والعجزولكنها لم تنمو وتتطور نحو النهاية الطبيعية لأن الفقر قادر على تدمير أى حلم جميل. مع ذلك فإنى أقول الحمد لله والشكر له على كل ماعانيت من متاعب وكل ماجنيت من نعم حتى الان. ولنا أن نتعظ بتجارب الآخرين فيما يقوله الشاعر العراقى الكبير بدر شاكر السياب الذى دمره مرض السرطان. استمع الى مناجاته في قصيدة سفر أيوب حيث يقول:

لك الحمد مهما استطال البلاء ومهما استبد الأم
لك الحمد إن الرزايا عطاء وأن المصيبات بعض النعم
ألم تعطنى أنت هذا الظلام وأعطيتنى هذا السحر؟
فهل تشكر الأرض قطر المطر وتغضب إن لم يجدها الغمام؟
شهور طوال وهذى الجراح تمزق جنبى مثل المدى
لكن أيوب إن صاح صاح للك الحمد إن الرزايا ندى
وأن الجراح هدايا الحبيب أضم إلى الصدر باقاتها.
(المدى تعنى المطاوى أو الخناجر الحادة. الندى الماء البارد الذى يرطب الحرارة).

!! ذات الرداء الأخضر

كنت أتهيا لدخول جامعة القاهرة. وكنت واثقا من قبولى بها. إن مجموعى كبير يؤهلى لأى كلية من كليات الدراسات النظرية. وكانت كلية الآداب هى أول كلية كنبتها فى بطاقة الإختيارات. وأنا أحس الآن أن مستقبلى فى دراسة الآدب، ومن ثم أخذت أفكرفى أى الأقسام أختار. إن هوايتى هى الفراءة والكتابة. هل أدخل قسم صحافة لأ جعل من الهواية حرفة أوأدخل قسم اللغة الإنجليزية التى أحبها جدا لكى أتقنها وأتعمق في آدابها, ولأننى عاشق للأدب العربى وللشعر العربى قديمه وحديثه وأحفظ منه مئات الأبيات وبعض القصائد كاملة . وأنا أصبحت أحسن التعبير بأسلوب متميزوجميل فى كتابة موضوعات الإنشاء التى كانت تعجب أساتذتى فى المدرسة وكانوا يشيدون بها فى الفصل أحيانا. وقد يساعدنى هذا على أن أترجم من الانجليزية للعربية وأمضى فى محاولاتى الكثيرة فى كتابة الشعروالقصة القصيرة. لقد علق أحد مدرسى اللغة العربية على إحدى قصصى قائلا " نسيم...إنها بداية ناجحة وأنا أهنئك وننتظر منك الكثير"

اشتغلت هذه الأفكارفى خيالى، ولكنى كنت متردد أى القسمين أختار فرحت أستشير زملائى الذين سبقونى. قال لى أحدهم أدخل قسم اللغة الإنجليزية تتعلم اللغة وتكتسب ثقافة أدبية واسعة وعميقة. لقد قرأت جريدة الأهرام يوم ظهور النتيجة وقرأت أسماء العشرة الأوائل على قسم أدبى وكنت أنتظر أن تكون منهم. وكانت السا بعة بنت اسمها سلوى لطيف سمعان تقول إن أباها مفتش أول اللغة الإنجليزية بوزارة التربية والتعليم. وقد سألها المحرر عن القسم التى تختاره فقالت قسم اللغة الإنجليزية لأنها حصلت على أكبر درجة فى هذه اللغة. وكانت هذه الكلمات هى الفيصل فى الموضوع. لقد تعبت من التفكيروقد اهتديت أخيرا بمن يفوقنى علما ولغة. كان سبب الحيرة أحيانا أن درجاتى فى اللغات تؤهلنى لقسم فرنساوى وقسم انجليزى وقد ارتحت أخيرا لاختيار هذه الفتاة، وأصبحت أمنيتى أن ألتقى بها فى قسم اللغة الإنجليزية وأتعرف

عليها فزامالتى لمثل هذه الفتاة تملأنى فخرا وتشعرنى بأن تفوقى فى الثانوية العامة قد قفز بى لمستوى أبناء الذوات. وقد وجدت نفسى فعلا بين أبناء الذوات، حين عرفت إن الجالس بجوارى هو حازم ابن بهى الدين بركات باشا رئيس وزراء مصر الأسبق. وقد عاد من لندن نتيجة العدوان الثلاثى واصبح زميلا لى فى الفسم، وبعد أن استوعبت هذه الحقيقة رحت أترنم بقول الشاعرالعربى:

العلم يرفع بيوتا لاعماد لها والجهل يهدم بيوت العز والشرف.

وهنا عدت أتذكر الاسم سلوى وأعيده لنفسى: سلوى ياسلوى يا أحلى من الحلوى وهذا شعر صالح جودت. ياله من اسم موسيقى جميل، وقع على نفسى وقع السحرفسكرت دون شراب، وبدأت أفكر فى شىء آخرغيرالإسم. أفكر فى صاحبة الإسم. إن الإسم جميل وساحر فهل تكون هى جميلة وفاتنة؟ يا للحظ السعيد أن.تكون هذه الفتاة ابنة الرجل المعروف، وهنا قفز إلى ذهنى شىء جديد. وما فائدة الزمالة إذا لم يكن هناك تكافؤ فى الوضع الاجتماعى. هل يمكننى أنا الريفى الفقيرأن أتطور بهذه الزمالة إلى مستوى الصداقة أوالحب؟ لكن هذا يحتاج إلى الكثيروأنالا أملك شيئا. ولكن ماهذه الأفكارالسوداء. ماهذا كله لماذا أفكر فى تجنب البلاء قبل وقوعه. إن الحياة أمل وعمل. ربما أعمل وأنجح وأصبح شيئا مذكورا..

وبعد أيام قليلة حزمت أمتعتى وتركت قريتى المحبوبة العوايسة بريف سمالوط وذهبت ألى القاهرة، مدينة العلم والنور. وبعد أن قيدت اسمى فى قسم اللغة الإنجليزية، أخذت أبحث فى الكشوف المعلقةعلى حائط الممرالذى يتوسط مبنى القسم حتى وجدت اسمها فى المجموعة (ج) فكتبت اسمى فى هذا الكشف، وفى أول محاضرة أدخل فيها المدرج اخترت لنفسى مكانا منعزلا ورحت أتلفت حولى بنظرات ذائغة حذرة وأنفاسى متقطعة كأن شيئا ثقيلا يجسم على صدرى. فكل ماحولى غريب بالنسبة لى . هنا بنات يجلسون بجانب أولاد ويتكلمن معهم. وأنا أعرف

مقدما أن هذا يحدث فى مدرجات الجامعة!! لكن الشىء الجديد علي أننى لم أره من قبل ولم أعلفه. والبنت فى بلدنا عنما ترى شابا تبتعد عنه وتحاول أن تخفى وجهها وعينيها. بل تحاول أن تدخل فى جلدها حتى لايرى منها شيئا. بدأت أنفاسى تهدأ رويدا رويدا حين دخلت علينا الأستاذة.

القت علينا التحية وابتسمت. كانت شابة فارعة الطول نحيفة قمحية اللون باسمة الوجه. امسكت بكشف الأسماء وأخذت تتعرف على الطلبة والطالبات، وتمد رقبتها حتى ترى وجوههم عن قرب. وهنا تذكرت سلوى وبدأت أشد أذنى، وأميل إلى الناحية التى تنظر إليها المدرسة. وبعد قليل انبعث الإسم من الصف الأمامى فى صوت خافت ضعيف، ثم انبعث صوت رقيق آخر يعلن إسما آخر، فلم أتحقق أى واحدة تكون هى؟ فأخذت أنظر إليهما من الخلف وعينى مركزة على حركاتهما وهن جالستين، وتمنيت لومعى أشعة إكس لأخترق بها هذه البلاطى السميكة وأرى وجوه أصحابها من الأمام.. من اليمين تجلس فتاة شعرها ذهبى اللون قصير منكوش بعض الشىء وترتدى بالطو أحمر، وعن يسارها تجلس فتاة صغيرة الرأس شعرها أسود فاحم، تعقصه من الخلف فى شكل ذيل الحصان. ومازلت أنظر ناحيتهما حتى اقتربت منى المدرسة وأخذت تنظرألي باهتمام وتنصت لتسمع صوتى، سألتنى عن إسمى فأخذت أنتبه إليها وأجيب فى حياء وخجل مما جعل الكلمات تتعثر فى فمى بصورة لفتت إلي الأنظارحتى الطالبتان اللتان تجلسان فى ألصف الأول أدارتا وجهيهما إلى الخلف لرؤيتى فانتصبت فى وقفتى فرآيتهما.

الأولى وجهها ابيض أما الأخرى فوجهها أسمر شاحب لكننى لم أتحقق تماما من هذه الوجوه أوأفرق بين أصحابها. يكفنى أنى عرفت أنها إحدى الإثنتين.، وانتهت المحاضرة وخرجت مع الآخرين. خرجت وفى رأسى أفكار كثيرة وفى قلبى شوق غريب للمعرفة. وبعد فترة دخلنا مدرجا آخر، وكانت حالتى أكثرهدوءا.فجلست فى الصف الثانى بين أربعة زملاء ، ورآيتهما أمامى فى الصف الأول ثنائى عجيب تكاد تلتصق

إحداهما بالأخرى. ثم دخل المدرس وحيانا بابتسامة عريضة وكان لصوته فرقعة. وبدأ يتعرف على الأسماء واحدا وأحدا ويكررالإسم أكثر من مرة وكأنه يحاول أن يحفظه، وأحيانا كان يعلق بنكتة لطيفة على بعض الأسماء فأوجد جوا من المرح والألفة. وهنا جاءت الفرصة لأعرف فتاة الأحلام والأوهام .ولعل جلوسى بين زملائى ملأ نفسى بقدر كبير من الارتياح والطمأنينة فلم أعد فى حاجة للخجل اواختلاس النظر إلى زميلاتى ، فالمسافة بينى وبينهما ضئيلة بل تكاد تكون منعدمة , فلو أننى حركت يدى قليلا إلى الأمام فربما لمست شعرها، وحانت الفرصة حين وقفت تعلن اسمها وكانت هى ذات الرداء الأخضر، وصاحبة الشعر الأسود الفاحم الظويل الذى يتدلى على ظهرها كذيل الحصان .إن طريقة عقصه تثير فى خيالى نوادر وصور للذيول والفرسان .فرحت أتأملها متوسطة الطول ممتلئة قليلا لون بشرتها أسمر به لمسة من الشحوب. شعرت بصدمة أثارت حيرتى، أتكون هذه الفتاة هى صاحبة الإسم الساحر الرنان. مفارقة كبيرة بين الإسم وصاحبة الإسم. بين الصورة المتخيلة والحقيقة الماثلة أمامى. هكذا شعرت بها لأول وهلة. الاسم جميل كان يجب أن تملأه بصورة أشد جاذبية. لكن هذه هى الحياة تمنينا دائما بالكثيروفى النهاية تواجهنا بالحقيقة. لم تطل حيرتى فقد انتهت المحاضرة والكل من حولى يتحرك للخروج فاستيقظت من سرحانى وخرجت معهم.

عرفت الآن أننى سوف أراها كل يوم فى هذه الحجرة أو فى غيرها، وفى فتاء الكلية أوعلى الكافتيريا. لكننى لم أتوقف عن التفكير فيها، وكنت كل يوم أرمقها بنظرات غامضة، وأرى أنها ليست دميمة كما ظننت لأول وهلة بل أحسست أن فيها أشياء جميلة ومريحة. هذا الوجه المستدير والشعر الأسود الفاحم الذى يرتفع من الأمام فيشكل تاجا ينحنى مع استدارة وجهها ثم ينتهى من الخلف بخصلات تنعقد فى الوسط ثم تتدلى على ظهرها بما يشبه ذيل الحصان. هذه الهالة الجميلة تحيط وجهها المستدير ذى التقاطيع الدقيقة فتصنع لوحة متناسقة التفاصيل تتوسطها عينان

سـوداوان وأنـف دقيـق وفـم يشـبه الخـاتم، ملامـح جميلـة وجذابـة غيـرت فكرتـى عنهـا فبـدأت أتعلـق بهـا مـن جديـد حتـى مشـيتها كانـت تثير إعجابى.

كنـت أتابعهـا أحيانـا خلسـة لأمتـع عينـي بقـدها المعتـدل وهـو يتثنـى فـى مرونـه عجيبـة، وكانـت إلـى جانـب ذلـك كلـه شـديدة التـأنق فـى ملابسـها دون تبـرج حتـى يخيـل للرائـى أنهـا تتكلـف فـى تصـرفاتها لكنهـا كانـت تزيـدنى إعجابـا وتزيـدنى شـغفا بهـا. خصوصـا بعـد أن تأكـدت، أن هـذه المجموعـة لاتضـم مـن الطالبـات المسـيحيات غيـر هـذه الطالبـة وزميلتهـا، وهنـا شـعرت برباـط آخـر يمكـن أن يقربنـى منهـا. لكـن العجيـب أن ظهورهـذه الرابطـة بـدا وكأنـه حـاجز يفصـل بينـى وبينهمـا. والـذى زاد هـذا الأمروضـوحا كـونى ريفيـا دائـم الـتحفظ فـى الكـلام فـلا أبـادر أى فتـاة بـالكلام إلا إذا بـادرتنى هـى. وقـد لفتـت هـذه الطريقـة بعـض الأنظـار إلـي. حتـى ظـن بعضـهن أنـى سـاذج, لكننـى كنـت فطنـا. كنـت أريـد ن أعـرف أسـلوب كـل زميلـة قبـل أن أخـتلط بهن.سـألتنى إحـداهن ذات مـرة عـن بلـدى ..ديـروط فضـحكت وقلـت بـل سـمالوط وليسـت ديـروط، فاسـتطردت وكيـف حـال المـذاكرة ، أجبـت مـش بطالـة . لقـد تكلمـت معـى معظـم طالبـات المجموعـة سـألننى عـن بلـدى وعـن ديـانتى وعـن حيـاتى فـى القـاهرة ماعـدا هـاتين الطـالبتين فكانـت تنظـران إلـي مـن بعيـد نظـرات عجيبـة، وخيـل إلـي انـه بعـد أن عرفتـا أننـى أشـاركهن فـى الديانـة فـأن هـذا الربـاط فـرض علـيهن الـتحفظ معـى. ربمـا وإن بـدا الموقـف سـلبيا فـى أول الأمـر. لقـد لفتـت هـذه النظـرات انتبـاهى وحاولـت أن أجـد لهـا مـدلولا وخصوصـا أنهمـا تتكلمـان مـع زملائـى الآخـرين. كنـت أعـرف ان معظـم مـن تكلمـن معـى كـن يقتـربن منـى وكـأننى مخلـوق غريـب مـن عـالم آخـر. ورغـم إدراكـى لهـذه الحقيقـة إلأ أنـى كنـت أتجـاوب معهـن بأسـلوب راق بـل كانـت تفلـت مـن بـين شـفتي بعـض القفشـات التـى

كانت تضحكهن ووتقربهن منى أكثر. كان فى ذهنى أن أثبت أننى من سلالة الفلاح الفصيح وليس من سلالة الذين اشتروا الترماى.

لقد تلاقت نظراتى مع نظراتها مرات كثيرة ولكنها لاتفصح عن شىء، ربماكان حياء وخجلا متبادل. والأيام تمر والنظرات تتلاقى دون إفصاح، وفى ذات يوم دخلت المدرج وفى يدى جريدة المساء، وجلست ألى جانب زميلى طاهر ورحت أتصفحها. وفى أثناء ذلك سمعت سلوى تقول:" طاهر أرجوك، ماتحرجنيش مرة تانية وكفاية بقه. لن أقرأ. لاتطلبوا منى ذلك!! وعرفت أنها تشير إلى ماحدث بالأمس حين طلب منها بعض الزملاء أن تقرا المقال الذى كتبته وأمرتها المدرسة أن تقرأ فقرأت فى صوت رقيق جذاب يختنق أحياتا ربما من فرط الحياء بسبب الموقف المفاجىء االذى لم تكن تتوقعه. ولكن طاهر راح يضحك ويقول:

معقول يامدموازيل سلوى والمقال رائع وإيه رأيك يانسيم؟

وكان ردى. طبعا مش معقول واحنا محتاجين نتعلم من المقالات الحلوة دى. ابتسمت هى أيضا ثم نهضت ومدت يدها الى جريدة كانت معى وأمسكت بها ونظرت فى إحدى الصفحات ثم ردتها وشكرتنى. فى ذلك المساء عدت ألى حجرتى الضيقة مسرورا. وبدأت ابسامتها تكبر فى خيالى فقررت من الآن سوف أحاول التحدث معها والتعرف عليها. وليكن ذلك من الغد. ومن ذلك الحين أخذت أنتهزالفرص للكلام معها. كانت كلماتى خافته بطيئة كادت أن تختنق فى فم ى لكننى تطورت شيئا فشيئا وأستطعت أن أتغلب على حيائى الريفى وأعبر عن رأي بوضوح وكانت هى تعطينى اهتماما كبيرا فاحس أن لكلماتى صدى عندها. بل وخيل ألي أن هذه الفتاة تحمل لى نوعا من التقديير

وفى ذات يوم كنت خارجا من باب القسم فرآيتها تجلس هى وزميلتها على الحشائش الخضراء تحت شمس الشتاء الداقئة، ويقف إلى جانبهما حسان وصبور وكان بينهم شبه حديث. ودفعنى

الفضـول فاتجهـت نحـوهم ورأيـت ان احيـيهم فالتفـت حسـان فـائلا فـى شبه تحذير:

وطـى صـوتك يـا سـلوى احسـن أخونـا نسـيم يسـمعك ؟ وعرفـت أنهـم كـانوا يناقشـون حقـوق المـرأة فـى التعلـيم والعمـل، فلمـا أنكـر صبور عليهن هذا الحق ردت سلوى عليه قائلة:

- هوانـت صـعيدى؟ أمـا أنـا فابتسـمت وقلـت: مـش مهـم قـولى ماشـئت، ألسـت صـعيدية مـن أسـيوط؟! فضـحكت وقالـت ولكنـى لـم أرهـا أبـدا ولـم أعـش فيهـا يومـا واحـدا. ثـم سـألتنى وهـل أنـت من أسيوط؟ وأجببت من سمالوط.
- إذن صـعيدى برضـه؟ فأجبـت: أيـوه صـعيدى وبـوى صـعيدى، وانفجـر الجميـع فـى الضـحك ثـم عـادت إلـى أصـل الحـديث فقالت:
- علـى العمـوم أنـا مـن رأى أن الفتـاة يجـب أن تـتعلم وبعـدين تتـزوج ومـن الأفضـل لهـا أن تقعـد فـى البيـت ولا تعمـل إلا إذا كانـت حياتعـا الزوجيـة تحتـاج الـى عملهـا. فتسـاعد زوجهـا فـى أعبـاء الأسـرة .وانفـض الحـديث ودخلنـا المـدرج لسـماع المحاضـرات .ولكـن صـوتها ظـل يـرن فـى أذتـى طـوال اليـوم حتى بلغ ألى عقلى وقلبى.

وأخـذت أقـول لنفسـى، إنهـا تعبـرعن وجهـة نظرهـا لا شـك فـى هـذا. فهـى تقـول مـا تحسـه ومـا تـرى أنـه الأفضـل. ورأيهـا رأى قـيم ومهـم يـدل علـى حسـن تقـدير للأمـورولظروف الحيـاة وعلـى اتـزان عقلهـا. فهـى ليسـت متزمتـة وليسـت مغـرورة بـل أنسـاتة وديعـة تعـرف قيمـة التعـاون وخاصـة فـى الحياة الزوجية.

- وانتهى الفصل الدراسى الأول، وعدت لأقضى أجازة نصف السنة فى قريتى الصغيرة، هناك على شاطىء النيل وشمس الشتاء الدافئة الحنونة وعلى رمال الشاطىء حيث يحلو لى تأمل الذكريات أخذت أقلب فى دفاترى . كانت حياتى صفحة بيضاء تخلو من الخطوط والألوان، فلم يسبق لى أن دخلت فى علاقات عاطفية قبل الآن وها أنا فى الجامعة فى جو المدينة الكبيرة حيث تتسع مساحة الحرية وتتوفر فرصة الاختلاط بالجنس الآخر ويبدو كل شىء بل الحياة كلها فى هذا المجتمع الجديد طبيعية. لكننى عائد وليس فى نفسى إلا أصداء لكلمات رقيقة ترن فى أذنى وفى قلبى الخالى. وأشعر أننى فى حاجة إلى هذه العلاقة وأتمنى لها أن تنمو وتلد الحب الذى يكسر كل الحواجز بين البشر، هذا الشعور جعلنى أستبطىء مرور الأيام وأتلهف على العودة للجامعة.
- بدأ الفصل الدراسى التانى وبدأت معه متاعب جديدة فعاودنى مرض قديم، كان يعترينى من أسبوع ألى آخر فى شكل مغص كلوى شديد الألم ،عاد يكدر حياتى ويعطلنى، وبدات تفوتنى بعض المحاضرات، واضطر إلى أن أستعيركشاكيل زملائى لأنقل منها ما فاتنى. ولكننى وجدت فيها كثيرا من الأخطاء والفجوات، فضلاعن عدم التنظيم. لم أكن مهملا فى حياتى ولم أتعود التهاون فى الترتيب والتنظيم قبل ذلك، لم أكن كسولا ولا غبيا وكنت دائم التفوق فى سنوات دراستى حتى الثانوية العامة أخذتها نظام الثلاث

سنوات وحصلت على مجموع عالى أهلنى لدخول أى كلية. والآن أتعرض لأزمات صحية تعطل مسيرتى العلمية فكيف أواجه هذا الموقف.

كان حبى للمعرفة يدفعنى دائما للبحث والتحصيل وكنت أتمتع بقدرة فائقة على الحفظ تتجلى فى إلقائى لقصائد طويلة من الشعر القديم والحديث، وكنت أتصورأن، مجيئى للجامعة سوف يمنحنى أكبر فرصة لدخول مكتبة الجامعة وقراءة الكتب التى كنت أعجز عن شرائها لكننى أتعرض الآن لهجمات المغص اللعين وأضطرأن أذهب ألى مستشفى الجامعة مرة أومرتين كل أسيوع وتضيع منى الليالى فى صحبة الألم الذى لا يعطينى أى فرصة للجلوس معتدلاعلى كتاب. كم حز فى نفسى الألم وبكيت حزنا على ضياع الوقت وضياع فرصة التفوق التى كنت أحلم بها. فما ذنبى أنا الآن.- الأمر خارج عن إرادتى ولا يعيبنى ان، أستعين بزملائى أو زميلاتى خصوصا بعد أن أحسوا بمشكلتى التى لم أذكرها لأحد لكن لابد من إنقاذ مايمكن أنقاذه. فلماذا لا أطلب منها الكشكول الذى اريده.

إنها مجتهدة وذكية ولابد ان تكون كتابتها خالية من الألخطاء. وفى اليوم التالى وقفت بعد نهاية المحاضرة الأولى فى الممر الذى يتوسط القسم وكان بينى وبينها خطوات وترددت قليلا قبل ان أطلب منها كشكول التاريخ، وهى المادة التى كان يدرسها لنا الدكتورعزالدين فريد باالإنجليزية وكانت تتناول التاريخ الإنجليزى، وهذه الدراسة كانت تقدم لنا الخلفية الضرورية التى تساعدنا فى فهم الأدب الانجليزى. المهم اننى ترددت قليلا وأخيرا تشجعت ونطقت الكلمات: تسمحى تعطينى كشكول التاريخ

أنقل منه محاضرة فاتتنى؟ فإلتفتت إلي وكأنها لاتصدق أن هذا الخجول يكلمها وقالت أنا ؟! فابتسمت قائلا: نعم أنت. فمدت يدها الى حقيبتها وأخرجت الكشكول سريعا وكأنها كانت تنتظر هذه الفرصة لكى يجرى الحديث بيننا ومدت يدها بالكشكول وقالت إنقل منه أى محاضرة على مهلك ورجعه بعد يوم أويومين مش مهم.

- أخذت منها الكشكول وأنا ابتسم وأقول: شكرا ياسلوى لقد انقذتينى. وابتهجت بهذا الكلام وعلى وجهها إبتسامة عريضة وهى تقول لاشكرعلى واجب بس اطلب اى حلجة تانية وأنا مستعدة. وفى اليوم التالى رحت أقدمه لها فتظرت إليه دون أن تمد يدعا وهى تقول: بسرعة كده؟ وكتبت كل المحاضرات اللى فاتك،؟ خليه عندك لما تكمل. ورددت عليها شكرا شكرا جزيلا. لقد سهرت معه الليل بطوله. كنت مندهشا لهذا الترتيب والنظام. كما أن جمال الخط ووضوحه ساعدنى فى عملية النقل. بل إن إعجابى بخطك جعلنى أحاول تقليده.

- وليس لدى كلمات تكفى للتعبيرعن شكرى وامتنانى لك لأننى كنت فى ورطة بعد أن اطلعت على كشاكيل بعض الزملاء ووجدت فيها متاهة، قلة الترتيب والتنظيم مع خطوط زى خرابيش القطط والآن اطمأن قلبى. إننى سوف أعتمد عليك فى حالة تغيبى بسبب المرض. ظهرعليها التأثر واحمر وجهها حياء. وهكذا أخذت ألجأ إليها كلما أحتجت إلى ذلك وهى تسرع فى تلبية طلبى وتشجعنى، وأيضا تتتبادل الحديث معى حتى عرفت الكثيرعن مشاكلى الصحية

وأعربت عن إعجابها بصلابتى وقدرتى على تحدى المرض طيلة السنوات السابقة وحصولى على التفوق فى الثانوية العامة ودخول هذا القسم وهو نوع آخر من التحدى.

- وذات مرة رآها زميلى نسيم ابراهيم وأنا أرد لها أحد الكشاكيل فاقترب منى وجلس إلى جوارى وكانت صداقتنا ناشئة فأخذ يداعبنى ويقول: إيه الانسجام العظيم ده يا أبو مجلى؟ يظهرإنك معجب بسلوى لدرجة التفاعل معها؟ وضحكت ضحكة حقيقية وقلت: دى إنسانة فى غاية النبل وإلا حساس.. وسخرنسيم ابراهيم منى قائلا: يا حلاوتك ماهو باين على شكلها، وكان يقصد أنها ليست جميلة. وقطعت عليه الحدديث وقلت". وده مش موضوع نناقشه الآن." ثم التفت نسيم ابراهيم نحوها ورأى فى يدها كتابا عن مسرحيات موليير وأشار أنه يريد أن يستعيره منها فنظرت إليه فى سخرية لاذعة وقلت له هذه الكتب لايمسها إلا الذين يقدرون قيمة ماتحويه أما أنت فابحث لك عن كتاب آخر يناسب تفكيرك يكون غلافه ملون وشكله جميل زى مجلات ميكى مثلا.

- " معلهش يا ابومجلى يا فهامة. أنا عارف إنك تفهم فيما وراء الطبيعة وفى لغة الأرواح والمعانى والأحاسيس الجوانية وكل ما يوحى بالحب لكن المهم أن تحضر لنا هذا الكتاب وبعد كده مع السلامة.

- ـ المهم إنك تلعب فى غيرها لأن ده مش مجالك.

وهنا دخل المدرس وساد الصمت حتى نهاية المحاضرة. خرجنا من المدرج وعين نسيم مازالت تنتقل بينى وبين سلوى وهو يهمس ببضعة كلمات انت دائما تعمل مهم. معلهش بس تجيب الكتاب ده نشوفه.

مرت الأيام بعد ذلك فى هدوء لايعكر صفوه شىء. كان كلما رحت أتحدث إليها كان هو يبتعد عنا، وكنت أتخذ ذلك مادة للسخرية والتندرعليه أحيانا وليس فى كل وقت. وكان هو يبررهذا التصرف بأنه شىء توجبه الزمالة، وهو كصديق مخلص أو يامل أن يكون كذلك يجب عليه ان يحترم مشاعر اصد قائه فى هذه المناسبات ويترك لنا الفرصة حتى يتيح لعلاقتنا فرصة أكبر للنمو. وهنا طرأت على خاطرى فكرة ربما تجنبنا الحرج، فحتى تسلم سلوى من غيرة زميلتها التي تقف معنا أيضا فلابد أن اجد لهذه الزميلة من يشغلها. ولم يكن أمامى من هو أجدر من زميلى نسيم ابراهيم الذى أصبحت أءمن جانبه. وأخذت أعرض عليه هذا وأشجعه على الوقوف إلى جانبنا حين أتحدث إلى سلوى لكى أهيء له فرصة التعارف مع زميلتها انطوانيت. ورغم أن زميلى كان يرغب فى هذا التعارف وكان يبيت النية أن يتقدم إليها إلا أن سلوكه ظل كماهو، ففى كل مرة ينوى أن يتقرب منها ويتحدث معها تخونه شجاعته فى حين ازدادت الألفة بينى وبين سلوى.

ظهرت نتيجة امتحان السنة الأولى ونقلنا ألى السنة الثانية. مرت ألأجازة الصيفية ثقيلة متباطئة لم تخلو أيامها من تنفيص المغص. كل ذلك في انتظاردورى في العملية حتى بدأ العام الدراسى الجديد, وفي الكلية قابلت نسيم إبراهيم والتقينا بسلوى وزميلتها وسألتنى عن النتيجة

فطمأ نتها .لم تكن الدراسة قد بدأت بعد في القسم فذهبت الى مستشقى الطلبة اسستقسر عن موعد المملية فعلمت أن دخولى قد تقرر بعد أسبوع. فشعرت براحة كبيرة ونشوة غامرة، أخيرا أخيرأ سوف أتخلص من أسباب الألم والمغص واخذت أدندن بأغنية وأضحك على نفسى مما لفت نظر زميلى نسيم إبراهيم فسألنى: ميسوط وفرحان قوى كده بالعملية؟

فعلا، ومنذ الذى يرى نهاية ألامه ولايفرح؟ أو يلمح بداية الشفاء ولا يسر؟ لقد عانيت الأمرين من هذا المرض على مدى ست سنوات. كان المغص الكلوى يداهمنى مرة أو مرتين كل أسبوع.،و كنت أقضى معظم أيامى همدان وتعبان من تاثير المسكنات من حقن وبرشام دون طائل ..سنوات طويلة عشت فيها ضعيفا هزيلا يقتلنى الاحساس بالعجز والآن أفرح لأنى أرى نهاية هذا الضعف وهذا العجز.

قال : إنك حققت فى هذه السنوات مالم يقدرعليه كثير من الأصحاء وهذا يؤكده مجموعك فى الثاوية العامة ودخولك الجامعة فكيف تعتبر نفسك عاجزا؟

- كنت أحس أننى أهلا لنجاح أكبر، وبالرغم من ذلك فإننى وقفت عاجزا أمام أمور كثيرة كانت تتوق لها نفسى. وكان المرض يعجزنى عن إتيانها.

لكن العملية ليست سهلة ألا تخاف منها؟

- وأخاف من إيه؟ من الموت؟ إننى أموت كل يوم، والعملية لاتعنى الموت، فالموت يحدث فى كل الظروف وأنا لا أفكر فى الموت ولا أكره الحياه.. كل ما يهمنى هوأن أكون قادرا على خدمة نفسى وأعيش فى حالة عادية مثل كثيرمن الأصحاء.

وفى اليوم المحدد كنت فى مستشفى الطلبة بميدان الجيزة أرتدى بيجامة من الدمورمكتوب على صدرها في الجانب

الأيسر " مستشفى جامعة القاهرة " وقد ظن بعض الأصدقاء أن العملية سوف تتم يوم دخولى فحضروا معى نسيم إبراهيم وفرج يعقوب وناروز بسطا وقضوا اليوم كله في غرفة الاستقبال حتى تأكد لهم أن ذلك لن يتم قبل إجراء الفحوصات والتحاليل وكشوفات الأشعة وخلافه وهى إجراءات ضرورية قد تستغرق عدة أيام.

أخذت الأيام تمر دون أن تخلو من التفكير فى المصيرالمجهول. الحياة والموت والمستقبل وألم الغربة، والفقرالذى يعجز أخوتى عن الحضور والوقوف إلى جانبي في هذه اللحظات المصيرية. ورغم إيمانى الشديد بالله فقد مرت بى لحظات سوداء غمرتنى فيها أفكارأشد سوادا كنت أصل فيها إلى درجة الكفر والإلحاد. كنت أقارن بين سلوكى وسلوك بعض أندادى ممن منحهم الله الصحة والمال واوتو القدرة على الفساد والإفساد. وهنا أحس قسوة التجربة، التي وضعتنى فيها الأقدار وما ضاع على بسبب ذلك من فرص، وأهم من ذلك ضياع المال خلال ست سنوات من الألم بينما أنا في أشد الحاجة إلى كل لحظة منها، وكل مليم أنفقته على المرض في أثنائها. كان هذا الشعورطبيعيا بالنسبة لشاب فقيرمثلى من أبناء الطبقة الكادحة حينما يدركون أنفسهم ويدركون ظروفهم وخاصة الطموحين منهم، هؤلاء الذين تتسع أفاقهم في حين تضيق ذات اليد عن تحقيق أمالهم، فيحاولون تفادى العقبات وتخطى الحواجز بالكد المضنى والسعى المتواصل ثم يرون الحظ السيء وهو يلاحقهم بشتى الصور، فينفد المال ويلتهمهم المرض فيحول نجاحهم إلى فشل وانتصارهم إلى هزيمة فيحسون القسوة والمرارة التى تبلغ ذروتها في لحظات

التفكيـر الصـامتة فينكـرون حكمـة الأقداروعدالـة السـماء. وقـد عبرت عن هذا الإ حساس بهذه القصيدة التي تقول:

ربى وجدت مارقا هل لى لحبك أن أعود؟
مسنشقا زهر الربى متضوعا سحر الخلود
ربى جوارك منيتى هلا سمحت أن أعود؟
.....

أبى وأمى أورثانى الذنب إن الإثم موروث أكيد
وخطيئة أفنيت عمرى عندها وبلا حدود
حينا أميل إلى اليمين وتارة عند اليسار ولا أحيد
فخطيئتى ثقلت وشلت قدرتى فغدوت من ربع الحياة طريد
وينام قلبى لكن عقلى ساهر يطحن خطايا الأمس ويروم المزيد
ويصور الفحش لقلبى أنه كشف لدنيانا وللعلم الجديد
وتثور نفسى وتقشعر مشاعرى بئس إكتشاف رد أصلى إإلى القرود

وكم من مرة عدت إلى نفسى لكى ألومها على هذا التفكيروألتمس لها الأعذار من حولى وهى بلا شك كثيرة. فمن يرى بلاوى الناس تهون عليه بلوته. طافت بى هذه الأفكار السوداْء مرات عديدة وكل مرة كنت انتصر فيهاعلى نفسى فأقنعها بعدالة السماء، ومن ثم سلمت من العقد ومركبات النقص فلم انقم على الحياة ولم أكرهها ولم احسد الأصحاء ولا الناجحين. فقد كنت ناجحا رغم كل شيء بل كنت أتالم دائما عندما أرى انسانا مجتهدا ومتفانيا في عمله ويلازمه سوء الحظ.

وقد ساعدنى على الخروج من هذه المتاهة القاتمة وجود أصدقاء كثيرون من حولى فلم يمر يوم دون أن أرى صديقا أو أكثر. كنت اشعر معهم بالسعادة والقوة تجرى في كيانى. إذ كنت أحس بمشاركتهم لى في الآمى، ومن ثم كنت امزح معهم طيلة الوقت الذى يقضونه معى حتى أشعرهم بالطمانينة وأننى على ما يرام وماهى إلاأيام فليلة وينتهى كل شيء فى سلام، هذه الروح المعنوية العالية كنت استمدها من التفافهم حولى ومشاركتهم المخلصة لى، ورأيت الإخلاص في اجلى معانيه في زميلى وصديقى نسيم إبراهيم. رأيت التفانى والتضحية في أكمل صورة, وكثيرا ما ساءلت نفسى هل لو كنت مكانه هل كنت أفعل مايفعله معى .وزاد ذلك من حبى للحياة والأحياء وجعلنى أتساءل كيف يعيش الناس بلا أصدقاء؟

وكم حسدت نفسى على هذه النعمة! كنت أراها غنية تملك الكثيرمن محبة الناس واهتمامهم. وهذه قوة فعالة لها فعل السحروقوة المال. وهكذا عشت أيامى متفائلا أبدا أرى النور من خلال الظلمة، والقوة في أذيال الضعف. والانتصار في أعقاب الهزيمة. فلم يتمكن اليأس من الوصول ألى نفسى، رغم الصدمات المتوالية. أعود وأقول كان زميلى نسم أبراهيم خير صديق كان يذهب الى الكلية في الصباح ويعودالى سكنه لتناول غذاءه ودون ان يستريح بأتى لزيارتى في الرابعة بعد الظهر وهوموعد الزيارة الرسمى. وكان ذلك يوميا بدون استثناء وفى يوم الجمعة كان يزورنى مرتين صباحا ومساء في مواعيد الزيارة.

وكان يطلعنى يوما بيوم على سير الدراسة وعلى المحاضرات فلم أشعر أننى انقطعت عن الكلية يوما واحدا إلى جانب ذلك كان يعمل أي شيء يرى أنه يدخل السرورإلى نفسى.

وفى يوم جاء لزيارتى ورآنى ارتدى قميصا قصيرا مفتوحا من الخلف استعدادا للدخول إلى العملية، واستقبلته بالتنكيت والضحك ورغم ذلك فقد شحب وجهه وانقبض وبدأ التأزم يظهر على وجهه واضحا حتى كادت الدموع تفر من عينيه. وهنا سمعت صوته المخنوق يقول لى " لازم تصلى قبل العملية" وأجبت سوف أفعل وعليك أن تطمئن فالأمرأبسط مما تتصور، وسوف تأتى غدا لترانى في أحسن حال، ورد قائلا سوف أذكرك الليلة فى صلاتى وادعولك بالسلامة. وودعته بالضحك والهزار حتى يطمئن على حالتى المعنوية. ولم تتم العملية الجراحية في تلك الليلة وبدلا منها أجريت لى عملية منظار لتوسيع الحوالب حتى يسهل أخراج الحصاوى دون جراحة. وفشلت هذه المحاولة.

وحدث ان أصابنى صداع حاد من جراء جقنة البنج الموضعى وأصبح من الصعب على الوقوف أو مغادرة السريروتحريك رقبتى بل كنت أحس ان عينى الشمال مزرورة ولا أستطيع أن أفتحها كاملة . كنت احس بصداع شديد ودوار يكاد يلقى بى على الأرض وقد وقعت فعلا إلا أن الريس سيد أنقذنى قبل أن أسقط على الأرض وحملنى على يديه حتى أجلسنى على السرير، فكم أنا مدين لهذا الرجل اليقظ الأمين رئيس التمريض في المستشفى؟ ومن ثم استسلمت للرقاد كارها لأكثر من عشرة أيام.

وكان نسيم ابراهيم يزورنى كل يوم في نفس الميعاد. وفى يوم دخل على وهو يبتسم فقلت " أهلا وسهلا. باين عليك مبسوط النهاردة؟ " فنظر إلى والإبتسامة تتسع على وجهه وأخذ يهز رأسه ويقول " تعرف أنا مبسوط ليه؟، لأنى أحمل لك أخبارا سارة " قلت له أخبار إيه كلمنى." ورد على البنت إياها وسكت وكأنه يختبرنى، فقلت أي بنت؟ فبدأ يفصح " لقد تأكد لى اليوم

أنها تحبك وتحمل لك تقديرا كبيرا. لقد قابلتها اليوم صد فة وهى خارجة من باب القسم فقلت لها نسيم مريض في المستشفى ويطلب منك كشكول الشعر لأنه لايثق إلا في كتاباتك." لم تكد تسمع كلمة مريض حتى دبت على صدرها وتغير لون وجهها وكأن شيئا صدمها ثم بدأت تتساءل عن مرضك والكلمات تتعثر في فمها. وشعرت بخطورة الموقف فأخذت أطمانها عليك حتى أفهمتها الموضوع فدعت لك بالشفاء وعرضت أن تقوم هي بنقل المحاضرات لك بنفسها وقالت " لاداعى أن يجهد هو نفسه في الكتابة وأنا مستعدة أن اكتب له كل المحاضرات حتى يتم له الشفأء." لكنى عرفتها بأننى سأكتب لك المحاضرات ولن أتركك تتعب فيها. فألحت على " لاداعى إن وقتك لايتسع لذلك أما أنا فعندى متسعا من الوقت " ورفضت أنا مرة أخرى ولما رأت اصرارى على ذلك وعدتنى باحضار الكشكول وأى كشكول تريده." سررت بهذا الكلام وأعربت عن شكرى وتقديرى لهذه المشاعرالنبيلة. ثم بدأت أمزح مع صديقى نسيم فقلت " وهل أنا دعوتك إلى هذ؟" فقال " ولكننى تطوعت لأنى أعرف أن ذلك يسرك، وقد رأيتها أمامى فجأة فاندفعت نحوها دون تفكير وحدث ما قلته لك" فشكرته على محبته وعلى جهوده الكثيرة من أجلى ورجوته ان يبلغها شكرى وتقديرى.

في اليوم الثانى أقبل على وفى يده الكشكول المطلوب وقال، خذ هذا ومعه أجمل الأمنيات. أمسكت بالكشكول فقرأت إسمها وابتسمت ثم سألته "هل معك أخبارجديدة؟"
قال: ليست جديدة على أي حال ولكنها أخبار سارة، فقد سمعت زميلتها أنطوانيت أخبار مرضك فراحت ترفع يدها وتدعو لك بالشفاء العاجل

فشعرت بالخجل فكم أنا مدين لهما بالشكر والإمتنان. إن مشاعرهما الرقيقة تفرض على الإنسان ان يحبهما ويعتز بصداقتهما.
قال نسيم "في الواقع إنها أخلاق كريمة، لكن انطوانيت تبدوأكثر رقة ولطفا من سلوى لأنها تنطلق ببساطة في التعبيرعما تحس به، كما يبدو التأثر على وجهها واضحا اما سلوى فلا تخلو من مكر. فهى تتحفظ وتحاول في بعض الأحيان أن تخفى تأثرها فعندما رفعت أنطوانيت يدها وقالت يارب إشفه بدون جراحة لم تزد ألأخرى على أن قالت" يارب."
فقلت كتر خيرهم، هذه مشاعر تستحق التقدير فليس لنا فضل على أحد، وانا مدين لك ولهما بالفضل الكبير، فقد أشعرتمونى أننى لست وحدى ولست معزولا عن الناس. فبلغهما تحياتى وسلامى وشكرى. وانتهى وقت الزيارة فغادرنى وتركنى أنعم بهذه المشاعر الجميلة الذى وفرها الخالق لمساندتى في هذه المحنة الكبيرة. وهل هناك أفسى من محنة الفقروالمرض؟!

مضت الأيام على هذه الحال حتى تمت الجراحة وتم إخراج خمسة عشر حصوة من الحالبين، ونسيم يزورنى يوميا ويحضر لى كل ما أحتاج إليه ويطلعنى على سير الدراسة أولا بأول، ومن حين لآخر يحمل لى بعض الأخبار السارة والأمنيات الطيبة من سلوى وزميلتها أنطوانيت مما ضاعف من تقديرى لهاتين الزميلتين وإعجابى بسلوى، لأنها بادرت وانفردت بارسال كل الكشاكيل التي أحتاجها ولولاها لضاعت على نتيجة فصل كامل من الدراسة. لقد احتاجت حالتى الصحية البقاء حوالى أربعين يوما في المستشفى وحوالى إسبوعين للأستجمام في بلدى بجوار أهلى.
عدت للدراسة بعد هذه المدة لأستأنف المذاكرة مع نسيم حيث كنا نسكن معا من بداية الفصل الثانى في السنة الماضية، أما

تعارفنا على بعض فقد حدث من الأسبوع الأول للدراسة، وأصبحنا نشكل ثنائى صعيدى بحراوى فأنا قادم من سمالوط محافظة المنيا وهو من إمليط مركز إيتاى البارود. وذات ليلة أخبرنى أن القسم ينوى الفيام برحلة للحوامدية على ظهر إحدى البواخر النيلية فوجدتها فرصة للترفيه بعد هذه الأوقات الصعبة التي مرت على فاتفقت معه على الإشتراك فيها، وعند لقائنا بسلوى وزميلتها هنأونى بالشفاء ودعوتهما لمشاركتنا في الرحلة ورحبت انطوانيت بالفكرة لكن سلوى أعتذرت لضيق الوقت فعادت الأخرى واعتذرت أيضا ووعدتنا سلوى بقبول مثل هذه الدعوة في فرصة أخرى.

في اليوم التالى وصلنا تلغراف من والد زميلى نسيم يخبره بأن خاله موريس صدمته سيارة وتوفى فانقجر نسيم في البكاء وسافر في الحال إلى بلده وبعد أسبوع عاد وهو في حالة سيئة جدا، بل حالة انهيار لأن خاله هذا رغم صغر سنه كان هو صديقه الحميم الذى يصحبه ذهابا وإيابا إلى المدرسة كل يوم، وحاولت أنا وزميلى عبدالله عبادة الذى كنت أشاركه السكن. حاولنا أن نخفف عنه الصدمة وحالة الحزن التي كانت تسيطرعليه ونشجعه على ان يتماسك ويستعد معنا للامتحان الذى اقتربت أيامه. تعبنا معه أياما ولكنه كان مستسلما ويرى أنه لافائدة من أي شيء فالحياة عبث. وأخذ يركن إلى النوم أغلب الأوقات. فكنت اقترب منه وأقرأ له دروس اللا تينية. فقد كنت أحب هذه المادة وأحصل فيها على درجة عالية وكان يرفض هذه المادة ويريد أن يهملها. المهم اننى نجحت شيئا فشيئا في تحريكه للاهتمام بالمذاكرة لأن الإمتحان اقتربت أيامه والنواح على الميت لن يفيده شيئا. وقد شجعته للبقاء معى حتى نهاية الأمتحان وكان عبدالله مرحبا بهذه الفكرة وكانت النتيجة مفرحة لنا جميعا

والواقع أن عبد الله عبادة كان يتمتع بأخلاق راقية وروح مرحة ومحبة إنسانية عالية. وقد دعانى عبدا لله للسكن معه فتركت سكنى بميدان الروضة واستجبت لدعوته لأننى كنت انا وعبد الله عبادة زميلين بمدرسة سمالوط الثانوية وكنا فى فصل واحد وكنا نعرف بعضنا على مدى سنوات الدراسة. كانت علاقتنا علاقة أصدقاء فاستجبت لدعوته حين عرفت أنه يعيش وحده أيضا. كانت الشقة عبارة عن حجرتين وصالة وحمام وكانت بالدور الثالث في عمارة جديدة طويلة ونحيفة تقف كالبرج على شاطئء الجيزة.

انتقلنا الى السنة الثالثة لنبدا عاما مليئا بالمغامرات والمفاجآت والنشاط أيضا. إذ بدأنا محاولة ترجمة مسرحية All For Love لجون دريدن تحت اشراف الدكتور شوقى السكرى الذى كان يجلس معنا مرات كثيرة وللأسف لم تتم الترجمة. كذلك انشغلنا في مشاركة الدكتور شوقى في إدارة ندوة " ناجى" الأدبية التي تقام في ميدان الدقى في بيت الأستاذ محمد ناجى تكريما لذكرى أخيه الشاعر الراحل إبراهيم ناجى، والتي كان يرأسها الدكتور شوقى. وقد سعدنا بدعوة كثيرين من الشعراء والكتاب البارزين في ذلك الوقت. وفى تلك الأيام حدث أن اشتريت مجلة روز اليوسف فوجدت فيها دعوة عامة لزيارة معرض كاريكاتيرفنانى المجلة وعرضت الأمرعلى زميلى نسيم إبراهيم فرحب بفكرة الذهاب إلى فندق هيلتون حيث يوجد المعرض والاحتفال الذى تقيمه إدارة المجلة بمناسبة مرور خمسة وثلاثين عاما على صدورها. وكانت ليلة نادرة في حياتنا لم ولن تتكرر، وقد وصفها نسيم إبراهيم في المقال التالى وعنوانه:

عندما دخل الصعيدى هيلتون

كتب نسيم ابراهيم يقول:

اليوم الذى دخلنا فيه فندق هيلتون لمشاهدة معرض رسامى روز ايوسف وكنا فد عقدنا العزم على حضور حفلة الافتتاح. وكانت ليلة امتلإ الفندق فيها بالفنانين والفنانات وبنجوم الأدب والصحافة وفئات أخرى من الشعب. وبين هؤلاء وأولئكك رايت الصعيدى انسانا آخر. لاتبهره الأضواء ولاتأخذه المناظر كأنه زائر معتاد من زوار هيلتون الدائمين بل وكان له رأيه فى الناس والأشياء.

مرعلى رسومات المعرض وأعجب بها وهنأ أصحابها على القيام بهذه الأعمال ثم قدم لهم تعليقانه اللاذعة. قال للدكتور مصطفى محمود إن صورته تشبه فقهاء المصاطب فضحك الدكتور مصطفى وقال إن العيب على الرسام رجائى.عندئذ نظر الصعيدى إلى الرسام رجائى وقال له " يظهر إنك خريج الأزهر" فضحك أيضا .هكذا قابل الصحفيين وكأنه يعرفهم وعاش معهم لحظات كواحد منهم وهو يحدثهم عن الصحافة وتطلعه إلى العمل بها لما يحسه فى نفسه من موهبة ومقدرة, وعاش مع الفنانين فنانا صافح عبد الحليم حافظ وكمال الطويل وفاتن حمامة وصباح وتحدث معهم وكأنه يعرفهم من قبل حتى استطاع ببراعة أن يجذب صباح ويتحدث معها . ناقشها فى تقديم قصة للسينما. إنه يرى أن صباح هى الوجه الملائم كبطلة لقصته، وانتقلت به صباح إلى المخرج حسن رمزى وراح الثلاثة يناقشون الفكرة جديا ودعاه حسن رمزى لزيارته فى مكتبه. ثم تركهم وعاد يضحك. وحين سألت نسيم عن حقيقة القصة قال " بينى وبينك صباح هى آخر من يصلح لعمل قصتى، وبعدها عاش بأحاسيسه كلها مع الموسيقى حتى آخر السهرة.

نشـرزميلى نسـيم ابـراهيم هـذا المقـال فـى العـدد الأول مـن مجلـة "الشـعلة "مجلـة قسـم اللغـة الإنجليزيـة، التـى تولينـا تحريرهـا معـا بعـد أن تركهـا الـزملاء الـذين تخرجـوا وأنقطعـت علاقـتهم بهـا. نشـر نسـيم هـذا المقـال وكـان العـدد الأول حـافلا بكثيـر مـن المقـالات والتعليقـات المفيـدة التـى لقيـت قبـولا وترحيبـا وظلـت المجلـة معلقـة علـى الحـائط مـدة طويلـة، رغـم وجـود فصـة لكاتـب شـيوعى لا أتـذكر إسـمه الآن قـدمها لنـا أحـد الـزملاء مـن أصـحاب الميـول اليسـارية وأظنـه محمـد بسـبوس ورأينـا فيهـا صـورة لمعانـاة العمـال الشـديدة فـى ظـل النظـام الرأسـمالى، ولـم يلتفـت إليهـا الأمـن ممـا جعلنـا نطمـع فـى مزيـد مـن الحريـة، وقلنـا هـى مجلـة حـائط إن رأحـت أو جـت. ومـع ذلـك فقد تمت مصادرة العدد الثانى لأسباب غير أمنية.

كـان العـدد يضـم مقـالا آخـر للزميـل نسـيم ابـراهيم يـتهكم فيـه علـى الـزميلات الأريسـتوقراطيات ذوات الأثـواب التشـابهة والحركـات المتشـابهةالتى تتبـدى فـى طريقـة سـيرهن علـى شـكل ثنائيـات وثلاثيـات لافتـة للنظـر ومثيـرة للسـخرية. وقـد أثـار هـذا الكـلام غضـب الـبعض مـنهن فـذهبن يـرفعن شـكوتهن للـدكتور عـز الـدين فريـد عميـد الكليـة وعـدن مـن عنـده ينظـرن إلينـا شـزرا ويقلـن THERE BE RESPECT BETWEEN MUST GENTLEMEN AND GENTLE LADIES.

فاعتذرنا لهن وقلنا على العين والراس،

وذهبنـا للعميـد لنسـترد المجلـة فوجـدنا تهمـا أخـرى فـى انتظارنـا. فقـد سـرقت صـورة الغـلاف وكانـت لطالبـة بالسـنة الأولـى تجيـد الفروسـية وكانـت قـد تـم انتخابهـا ملكـة جمـال رأس البـر فـى الصـيف السـابق علـى دخولهـا الجامعـة واسـمها جيهـان مكـاوى التـى عملـت مذيعـة فـى التليفزيـون بعـد تخرجهـا. وأوحـت لهـا الـزميلات المتـذمرات منـا بـأن الصـورة لـم تسـرق وأننـى أخـذتها لكـى أنشـرها فـى مجـلات وصـحف قـد تسـىء لسـمعتها وأقـوال أخـرى ممـا أدخـل الخـوف فـى نفسـها لكـن

العميد طمأنها من هذه الناحية. وقال لها إن نسيم مجلى لايفعل هذا وهكذا برأنى العميد من التهمة لكنه رفض أن يعيد لنا المجلة وحفظها فى مكتبه. أما المشكلة الثالثة فقد حدثت بالصدفة فأنا لم أكن ميالا للرسم ولم أجيده أبدا . هذه المرة قعدت أشخبظ على ورقة فرسمت طالب ضخم الجثة سقط منه الكتاب على الأرض وهو جالس على كرسى ويده على خده وتحتها كتبت "ياميت ندامة على أللى حب ولا طالشى"

أصابت هذه الكلمات زميلنا على جمال الدين دون قصد منى فحزن وغضب وأخذ يشكو أين الصداقة وأين شهامة الأصدقاء وعرفنا أنه كان يمر بأزمة بعد أن تخلت عنه الحبيبة وكانت هى أيضا إحدى الزميلات بالقسم. هكذا تجمعت الصدف السيئة فى وقت واحد لتضعنا فى موقف لانحسد عليه وقد تألمنا لما حدث للزميلات والزملاء وقررنا التوقف عن تحرير المجلة.

- قبيل الامتحان بأسبوعين ابتدأت أنظم وقتى وأعيد ترتيب محاضراتى خصوصا تلك التى فاتتنى، واكتشفت فجأة أننى نسيت بعض محاضرات الشعر ووجدت صعوبة فى مراجعة مقررالشعر بسبب ظروفى المرضية ونوبات المغص الكلوى التى كانت تباغتنى بين يوم وآخر، ففاتنى سماع الأستاذ وهو يقرأ هذه القصائد ويشرحها ممايساعدنا على تذوقها والاستمتاع بها، وافتقادى لهذه الفرصة خلق فجوة بينى وبين هذه المادة، لأن الشعر ليس محفوظات نرددها بدون فهم واحساس بل هى موسيقى وصور فنية تخاطب الروح والوجدان. ونتيجة لمعرفتى بهذه الحقيقة وقعت فى الحيرة فماذا افعل؟

تلفت حولى بمن أستعين وتذكرت أن صديقى نسم ابراهيم قد سافر ألى بلدته إمليط بمركز إيتاى البارود بحيرة ولن يعود إلا قبل الآمتحان بيوم أو يومين، تذكرت فى الوقت نفسه محاضرة فى الترجمة يوم الأربعاء فقررت أن أحضرها ربما أجد أحدا يساعدنى، ولحسن الحظ وجدت سلوى حاضرة فقلت لها إننى أعرف أن الدراسة سوف تتوقف لمدة أسبوعين وقد يصعب علينا اللقاء قبل هذا الوقت، فطمأنتنى بأنها سوف تحضر فى الغد محاضرة اللغة العربية وسوف تحضر لى كشكول الشعر.

ولكننا مش جايين الكلية فى الأسبوع المقبل!

فقالت سوف احضر فى الساعة التاسعة يوم الأحد ولا تشيلش هم.

وفت سلوى بوعدها وجاءت ومعها كشكول الشعر، ووجدت أمامى ثلاثة أيام كاملة تكفى لنقل كل المحاضرات الناقصة عندى، ووجدت أيضا فى كشكولها شروحا إضافية ربما نقلتها عن أبيها مفتش أول اللغة الإنجليزية بوزارة التربية والتعليم والذى يقوم بتدريس بعض المحاضرات فى جامعة عين شمس. المهم أننى فرحت بهذا الشرح فرحة لا توصف لأنه أضاء لى بعض المقطوعات الشعرية التي غمض على معناها. وكان هذا شيئا مهما بالنسبة لى لأن لى بعض المحاولات فى كتابة الشعر العربى وأظن أن دراستى للشعر الإنجليزى سوف تفيدنى فى اكتشاف طريقى وتؤهلنى للنجاح مستقبلا.

وفى صباح الأحد ذهبت إلى الكلية وجلست على البوفيه فى انتظار حضورها لكى أعيد لها الكشكول. وكانت الساعة التاسعة لكن سلوى مرت دون أن تراني ولم أستطع أن أناديها حتى لا أسبب لها حرجا وانتظرت حتى أفرغ من

شرب فنجان القهوة ثم نهضت وأخذت أبحث عنها فى داخل القسم فلم أجدها لكن بعض الزملاء أخبرونى أنها كانت تسأل عنى. أخذتنى الحيرة وأخذت أسأل نفسى، ربما خرجت من الباب الخلفى دون أن أراها وتعرف أننى حضرت لكى أعيد لها الكشكول. تعبت من السير جيئة وذهابا فى ممرات القسم وممرات الكلية فعدت للجلوس على البوفيه ظنا منى أنها ربما تعود لأنه إذا لم تتسلم منى الكشكول اليوم فلن أجد فرصة أخرى للقائها قبل الإمتحان. أجهدنى التفكير فى الأمر، ماذا تقول عنى؟ وما ذنبى فى هذا المأزق؟ لقد تعودت الصدق واحترام مواعيدى مع الناس جميعا، وهذه الزميلة التى ترفقت بى وقدمت لى العون فى أحرج الأوقات، ماذا تقول الآن عنى الآن؟ كيف تتآمر على الظروف وتضعنى فى هذا الموقف المخزى؟ هى لايمكنها أن تستغنى عن هذا الكشكول الأن فماذا أفعل لإخرج من هذه الورطة؟

هل أذهب إلى منزلهم وأسلمها الكشكول؟ إننى أعرف المنزل فى شارع المنيل وأعرف البلكونة التى كانت تطل منها فى الدور الثالث، وقد رأيتها مرات عديدة أثناء مرورى أمام العمارة وأنا قادم من ميدان الروضة حيث كنت أسكن فى سنة اولى، وكيف يكون رد فعلها إذا فوجئت بوجودى على باب بيتهم؟ وكيف يكون موقف أبيها أو أمها إذا رأتها تتكلم معى على الباب؟ أنا أعرف إن أباها وأمها بلغا درجة عالية من الثقافة لكن هل يكفى هذا لتغيير الطبع الصعيدى المحافظ؟ هل بلغ إيمانهم بالتمدن والاختلاط أن يسمحوا لإبنتهم أن تستقبل زميلا لها حتى ولو على باب الشقة؟ لكن السؤال الأهم هل أجرؤ انا فعلا على الذهاب إلى منزلها إذا حكمت الضرورة؟

بعد أن سألت نفسى هذا السؤال أحسست بالرهبة والخجل وبدأت شجاعتى تخوننى. فأنا أخشى أن أسىء إليها من حيث لاأقصد. لقد أحسنت إلى ومدت لى يد العون فهل يكون رد الجميل هكذا. دارت فى رأسى هذه الأفكار والهواجس حتى كادت تصرعنى. فكرت فى أن أذهب وأترك الكشكول عند بواب العمارة لتوصيله وسرعان ماتراجعت لأن ذلك سوف يحدث نفس الأثر ولن يجنبها الإحراج، وقد يضيع الكشكول من البواب وتكون الطامة الكبرى التى لا حل لها. وهنا شعرت بالتعب الشديد فقررت أن أجلس تحت شجرة حتى أستريح وأسترد أنفاسى المرهقة.

سندت جنبى على الحشائش الخضراء الباردة التى بدأت ترطب جسمى وتمتص حرارته ثم وضعت رأسى على الأرضية الباردة وسرحت مع هذه الأحاسيس اللذيذة وأغمضت عينى ورحت فى غفوة لا أعرف مداها. افقت بعدها وأنا أشعر بالراحة والهدوء وأخذت أفكر من جديد واهتديت ألى حل غريب هو أن أحضر إلى الكلية يوميا حتى أراها وأسلمها الكشكول وأشرح لها الأمرحتى لا تسئ الظن بى.

حينئذ دقت ساعة الجامعة تعلن الثانية والنصف، فتذكرت موعد الطبيب ولابد أن أسرع حتى لا يفوتنى الوقت فأمسكت بالكشكول فى يدى ونهضت من مكانى مسرعا ومشيت فى شارع الجامعة ثم انحدرت إلى أحد الِشوارع ألجانبية متجها الى شارع يافع بن زيد حيث توجد العيادة الخارجية. وفى نهاية الشارع لمحت فتاة ترتدى ثوبا أبيض تسير بجوار رجل متوسط الطول يرتدى جاكتة بيضاء وبنطلونا رماديا فأخذت أحث الخطى نحوهما. آه لو تطلع

هـى؟ دخلـت الفتـاة وأبوهـا مـن البـاب الخـارجى للعيـادة وكانـت المسـافة بينـى وبينهمـا مسـافة قصـيرة لاتزيـد عـن عشـرين متـرا. وعنـد دخـولى مـن بـاب العيـادة وجـدتها واقفـة أمـام مكتـب الاسـتقبال فنظـرت إليهـا وابتسـمت وأسـرعت نحوهـا وقـدمت الكشـكول وشـكرتها وأخبرنهـا أننـى كنـت أبحـث عنهـا فـى الكليـة منـذ الصـباح حتـى هـذه اللحظـة فأمسـكت بالكشـكول فـى هـدوء وهى تبتسم ابتسامة رقيقة وقالت" معلهش جرى خير."

يالهـا مـن صـدفة عجيبـة أنقـذتنى مـن طوفـان الأفكـار التـى كانـت تتقـاذفنى فشـعرت بالاسـترخاء وأنـدفعت إلـى أقـرب كرسـى وجلسـت عليـه، بعـد أن عـاد إلـى الإطمئنـان خصوصـا حـين تأكـدت أن الطبيـب لـم يصـل بعـد، فقـررت الانتظـار. جلسـت هـى وأبوهـا فـى الصـالون وجـاءت جلسـتهما مواجهـة لفتحـة البـاب الواسـع، فأخـذت أختلس النظـر إليهمـا مـن وقـت إلـى آخـر ورأيـت والـدها يـداعبها فـى رقـة بالغـة وهـى تضـحك فـى دلال فخفـق قلبـى بقـوة وتمنيـت أن أشـاركهما هـذه السـعادة. وهنـا نـودى علـى اسـمى للـدخول الـى الطبيـب الـذى قـرر لـى إجراء جراحة لاخراح حصوة موجودة بالحالب.

عـاد نسـم ابـراهيم مـن بلـده وبـدأنا نسـتعد لامتحـان الفصـل الثـانى، فلفتـت نظـره المحاضـرات التـى نقلتهـا مـن كشـكول سـلوى ومـا فيهـا مـن شـروح ضـافية فانكـب عليهـا يتفحصـها بشـغف شـديد وبشـعور غـامر بـالفرح، كأنـه وجـد كنـزا جعلـه يشـيد ويثنـى علـى هـذا الجهـد االرائـع ويشـكرى عليـه فقـد وفرعليـه مجهـودا كبيـرا كـان يحتاجـه لفهـم هـذه القصـائد. وأثـار هـذا الكـلام انتبـاه صـديقناعبدالله عبـاده الـذى كنـت أشـاركه السـكن وقتهـا وكـان يـدرس فـى قسـم الاجتماع فأخذ هو الآخر يعلق بطريقته الخاصة:

- لكن إزاى ده يحصل؟ تعطيك الكشكول فى هذا الوقت الحرج وهى مطمئنة، فهل وصلت التضحية لهذه الدرجة؟ شىء غريب ومدهش!
- ـ لكن هذا ما حدث ياعبد الله. هكذا رددت عليه.
- وانتهز نسيم ابراهيم الفرصة وقال ساخرا: مش غريب ولا حاجة اصل المحروسة تحفة.
- رد عبد الله أنأ لازم أشوفها انا حاسس إن ابو ابراهيم متحامل عليها.
- فقلت غدا باذن الله سنراها معا ونترك لك الحكم والرد على هذا الولد المتعجرف فضحك نسيم ابراهيم وقال ربنا يكون فى عونك ياسى عبدالله.

اطمئن ياعبدالله صاحبنا هذا أفكاره مشوشة ومتطرفه أحيانا وسوف ترى، وضحكت وضحك عبدالله ونسيم وعدنا الى قراءة المحاضرات والاستعداد للإمتحان بعد أيام، والحمدلله قد مر كل شيء بسلام وانصرفنا لقضاء الأجازة الصيفية كل ذهب إلى بلده.

هكذا كان راى نسيم دائما وهو رأى غير ناضج لأنه يحكم على المظهر. وقد عرضه هذا لبعض الصدمات. فقد تقدم لزميلتها انطوانيت لأنها كانت بيضاء الوجه فاعتذرت عن فكرة الزواج، ثم تعلق بزميلة أخرى فاعتذرت أيضا وقبل ان يصل لهذه النهاية اكتشف أنها لعوب، ومتعلقة بزميل آخرغيرمسيحى يسكن بالقرب منها ويزورها في سكنها أحيانا، وهى مغتربة وليس معها أحد من العائلة ألا اختها التي تدرس

بأحد المعاهد المتوسطة. والمضحك أنه انتهى في النهاية وتزوج بفتاة صعيدية ليست بيضاء وعاش في وفاق وسلام.

-

ظهرت نتيجة الامتحان وفرحت بانتقالنا ألى السنة الرابعة، وانتهزت فرصة الأجازة الصيفية وذهبت ألى مستشفى الطلبة وتمت العملية الثانية في شهر أإسطس 1959.وبعد أسبوعين خرجت من المستشفى. لم يزرنى من الأصدقاء غير قلة من المقيمين بالجيزة او القاهرة. لكنى اسبشرت خيرا بالعملية وتصورت أن الألم قد فارقنى الى الأبد ولكن هيهات. فهي مهلة قصيرة وسوف يعاودنى في النصف الثانى من السنة الرابعة حيث تقرر لى عملية ثالثة وقد تمت بعد تخرجى سنة 1962 وكنت أعمل مدرسا بمدرسة بيلا الثا نوية بكفر الشيخ. لكن مسلسل العمليات لم يتوقف. فلعملية كان لها توابع وهكذا ومن توابع هذه العملية حصوة صغيرة بقيت في الحالب الأيمن وبعد عدة سنوات سدت الحالب فجأة مما تسبب في فشل الكلى اليمنى وقد تم اسئصالها في مستشفى كليفلاند أثناء زيارة للد كتور أيمن ابنى والذى كان في السنة النهائية للتدريب بهذا المستشفى المشهور.

قبلها أجريت لى عملية قلب مفتوح فى ستشفى قصر العينى الفرنساوى أجراها طبيب نابغة هو الدكتور طارق حلمى ٍسنة 2000. وكان الدكتور ممدوح أبنى يعمل ضمن فريق مساعديه. نفس العملية تمت للمرة الثانية في 2016 بمستشفى فلوريدا بعد أن تجاوزت الثمانين على يد جراح كبيرهو الدكتورهولتس حيث يعمل إبنى أيمن طبيبا للتخدير بالمستشفى. ، وأخيرا أجريت لى عملية بالعمود الفقرى منذ

عام على يد جراح نابغة شاب تجاوز الثلاثين بعام واحد هو الدكتور وسام الفلال . واكتفى بهذا من دفتر الآلام والأحزان لأنه طويل والقائمة تضم أكثر من *عشرة عمليات، والشكر موصول للأطباء وللتقدم المستمر في طرق الفحص* والتشخيص والعلاج.

وأخيرا شكرا لله الذى هيأ كل هذه الفرص وأطال عمرى حتى هذه الساعة لكى أحكى هذه القصة بما فيها من لحظات فرح وسنوات ألام وأشكره بصفة خاصة أننى مازلت أحتفظ بذاكرة قوية وعقل سليم حتى الآن وأنا أقترب من التسعين. وهذا الكلام أكتبه لكى يقرأه أبنائى وأحفادى الغاليين الذين أحبهم وأفخر بتفوقهم العلمى ومواهبهم الفنية قى الموسيقى وفى الأنشطة الرياضية. لكى يعرفوا كيف عاش جدهم يلاطم أمواج الهموم ويحارب الجهل والفقر والمرض في وقت واحد. وأمامى الان جراحة أخرى بعد أسبوعين من الآن لاستئصال المرارة لأننى كنت ومازلت أؤمن بأن لى رسالة تقوم على أساس أن الكتابة شهادة على العصر والناس وينبغى أن تكون شهادة صادقة لاتبتغى غير رضاء الخالق وحده لاتنافق أصحاب السلطة ولا الأغنياء.

كانت السنة الرابعة أكثر سنوات الدراسة قسوة بالنسبة لى حيث تقلصت المبالغ المرسلة لى من أخوتى بل وتوقفت في الفترة الأخيرة تماما، ووجدت نفسى مضطرا للبحث عن عمل يساعدنى على إعالة نفسى حتى أكمل امتحان الليسانس وأخذت أسال بعض الأساتذة عن

مساعدتى بتوصية لمؤسسة او لرجل أعمال يمنحنى قرصة للعمل عنده، وكان من الذين اتجهت إليهم الدكتور مجدى وهبة حفيد وهبة باشا. وكان معروفا باهتمامه بالشباب وسمعت أنه ساعد الكثيرين ومكن بعضهم من وظائف في مكتبة القسم وفى أماكن أخرى بالجامعة وبالصدفة وجدته أمامى على بعد خطوات فاتجهت إليه. وكان يعرفنى جيدا بحكم ترددى عليه خلال فترة تحريرنا لمجلة الشعلة بقسم اللغة الإنجليزية. وكان يراجع مانشره فيها باعتباره المشرف المسئول عن ذلك، وبعد قليل من التردد قلت له أنا محتاج جدا للحصول على عمل الآن وبعد نقاش قصير مد يده في جيبه وأعطانى عشرة جنيهات ووعدنى بالتفكيرفى مسألة العمل.

أنقذنى هذا المبلغ ومكننى من تدبير أمورى حتى أنتهيت من امتحان الليسانس. والواقع أن الإفلاس أضطرنى أنا وزميلى نسيم ابراهيم للتهرب من دفع أجرة الشقة على مدى ثلاثة شهور، وكان صاحب البيت فلاحا طيبا ونبيلا احس بظروفنا فلم يطالبنا بالدفع حتى آخريوم ونحن نسلمه المفتاح بل دعانا لتناول الشاى عنده، لكننا شكرناه على وعد منا بالعودة لدفع التسعة جنيهات المتأخرة، ولكن ذلك لم يحدث. لأن كل واحد منا اشتغل في بلد بعيدة عن القاهرة إضاقة إلى مشاغل الحياة التي كانت تنسينا أشياء كثيرة.

كان نسيم ابراهيم أفضل حالا منى ماديا لأن والده كان على قيد الحياة ويشجعه بفرح ومحبة باعتباره ابنه الأكبرالذى يريد أن يفرح به في حياته. بعكس حالتى أنا فقد مات أبى وعمرى ثلاث سنوات وتحكم في أمورنا أخ

أكبرطـايش وعنيـد أدخلنـا فـي نزاعـات مـع معظـم أهـل القريـة ممـا بـدد جهودنـا وامكانياتنـا الماديـة المحـدودة، ولأنـه فشـل فـي التعليم فقد فـرض علينـا عدم الـذهاب للمدرسـة وكنـا ثمـاني أفـراد أربعـة بنـات وأربعـة أولاد أنـا أصـغرهم جميعـا. نجـح فـي هـذا الحصـار مـع أخـوتى حتـى جـاء الـدور علـى حيـث حـاول تعطيلـى مـرات كثيـرة ولكنـى تمـردت ولـم استسـلم ومـن هنـا بـدأت العـداوة فهـو ينتهزكـل فرصـة ليضـع أمـامى العراقيـل جتـى حصـلت علـى الليسـانس وعينـت فـي بلـد بعيـدة ولكنـه لـم يهـدأ، رغـم أنـه كـان اول المسـتفيدين منـى ومـن عملـى، إذ كنـت أرسـل الجـزء الأكبـر مـن راتبـى الشـهرى لأخـى الأصـغر منـه والـذى كـان يحمـل همـوم الأسـرة كلهـا وخصوصـا لأن أمـى كانـت معهـم وكانـت توصـينى خيـرا بهـذا الأخ الشـرير. ورغـم أن لـه سـتة أطفـال يعيشـون فـي قلـب الأسـرة ويتمتعـون بكـل مايصـل إلـى البيـت منـى إلا أن كراهيتـه وحقـده علـى لا يتوقـف .وقـد اكتشـفت فـي النهايـة نتيجـة لـبعض الشـواهد أنـه مـريض نفسـيا ولديـه عقـدة مـن نجـاحى فـى التعلـيم ويسـعى إلـى تـدمير حياتى .

- أمـا حكـايتى مـع نسـيم إبـراهيم فقـد بـدأت حـين التقيتـه صـدفة علـى بوفيـه الكليـة، أخبرنـى أنـه مـن البحيـرة مـن إيتـاى البـارود فرحبـت بـه وعرفتـه بنفسـى، فقـال أنـه كـان يرغـب فـى دخـول قسـم اللغـة الإنجليزيـة لكـن كتبـوا اسـمه فـى قسـم إجتمـاع واعتـرض لكـن الأسـتاذ راضـى الموظـف بشـئون الطلبـة رفـض أن ينقلـه إلـى قسـم اللغـة الإنجليزيـة. وهـو حيـران ومـش عـارف يـروح لمـين. فقلـت لـه بسـيطة تيجـى معايـا تكتـب ورقـة للـدكتور رشـاد رشـدى رئـيس القسـم وتنهـى مشـكلتك. وهـذا مـا

كـان ومـن ذلـك اليـوم صـرنا أصـدقاء وشـركاء فـى السـكن حتـى تخرجنـا معـا فـى سـنة 1960، وتـم تعيننـا مدرسـين فـى وزارة التربية والتعليم

كانـت رغبتـى أن أعـين فـى المنيـا وطلـب هـو التعيـين فـى البحيـرة ، لكـن حـدث خطـأ فعينـت أنـا فـى كفـر الشـيخ بجـوار البحيـرة وعـين هـو فـى المنيـا يعنـى جعلـوا البحـراوى فـى المنيـا و المنيـاوى فـى كفـر الشـيخ فـى وجـه بحـرى رفضـوا فـى الـوزارة تصـحيح هـذا الخطـا وقـالوا يمكـنكم بعد تسـلم أعمـالكم تعملـوا بـدل لكنـه بعد أن ذهـب إلـى المنيـا ورأى جمـال المدينـة رفـض أن يبـادلنى ومـع ذلـك اسـتمرت صـداقتنا نتقابـل فـى الإجـازات لسـنوات طويلـة حتـى انتقلنـا الـى الجيـزة واصـبحنا نلتقـى باسـتمرار خصوصـا بعـد أن بـدأت أجـرب حظـى فـى الترجمـة وكتابـة المقـالات الأدبيـة وحـاول هـو أن يسـير فـى نفـس الطريـق فنشـر عـدة مقـالات فـى مجلـة المسـرح وتـرجم كتابـا فـى النقـد ومسرحية وطنية عن كفاح المصريين ضد الهكسوس .

والتحقت انا بالدراسات العليا بمعهد الفنون المسرحية وتقدم هو فى العام التالى ونجح واكملنا دراستنا وحصلنا على الدبلوم ولم نستمر حيث تعاقدنا على العمل فى ليبيا حيث قضيت بها ست سنوات جميلة وقضى هو عشر سنوات ثم جاء ولم يكد يهنأ بالبشقة الجديدة التى اشتراها على شاطىء النيل بالجيزة حتى أصيب بورم خبيث فى المخ أجريت له عملية فى معهد ناصر لكنه توفى فى الثانى من اكتوبر 1994 وكان هذا اليوم من أسود أيام حياتى.

هوامش:

- **كتبت هذه القصة والكثير من أحداثها التي مضى عيها أكثر من نصف قرن نقلا من مذكرات سجلتها في تلك الأيام واحتفظت بها**

حتى الآن إضافة إلى ما تحفظه الذاكرة ويضيفه الخيال القصصى للكاتب.

المؤلف

نسيم مجلى

ولد فى 10 يولية 1934 بسمالوط ـ محافظة المنيا
حصل على ليسانس الآداب فى قسم اللغة الانجليزية
من جامعة القاهرة 1960
عمل بتدريس اللغة الانجليزية بالمدارس الثانوية
فورتخرجه
حصل على دبلوم الدراسات العليا في النقد الأدبى
1970 وانتدب لتدريس اللغة الإنجليزية والنقد بمعهد
الفنون المسرحية وجامعة القاهرة.

حصل على جائزة الدولة للتفوق ففي لآداب 2013

من مؤلفاته:
دراسات في النقد والمسرح
ابن سينا القرن العشرين
أميرشعراء الرفض أمل دنقل
لويس عوض ومعاركه الأدبية

صدام الأصالة والمعاصرة
حنين ابن اسحق وعصر الترجمة العربية
وله العديد من الترجمات منها:
كافكا
محاكمة سقراط
العصر الذهبى للإسكندرية
كيف تقرأ ولماذا
بالاضافة ألى عدد كبير من المسرحيات الأفريقية والانجليزيية